الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي - ميلة -

المعهد:الآداب واللغات

الميدان: لغة وأدب عربي

عنوان المذكرة:

مظاهر الألم في شعر الخنساء
-دراسة فنية و نفسية-

مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس نظام جديد

تخصص أدب عربي

إعداد الطالبات:

مزياني أسمهان
كبيش سامية
العقون سهام

إشراف الأستاذة:

الوالي سعاد

السنة الجامعية: 2011/2010.

بسم الله الرحمان الرحيم

كلمة تشكر و تقدير

نتقدم بشكرنا الجزيل إلى أستاذتنا المشرفة الوالي سعاد التي لم تبخل علينا بجهدها ووقتها

فبفضل مشاركتها الفعالة ، و حسن معاملتها ، وطيبة أخلاقها قد تم إنجاز هذه المذكرة

كما لا أنسى الأساتذة الذين كانوا سندا لنا في بحثنا هذا:

إلى بن ساري مسعود، بوعجاجة سليم.

إهـــــــــداء

الحمد لله الذي هدانا إلى هذا و ما كنا لنهتدي لو لا أن هدانا الله ، اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك و عظيم سلطانك الحمد لله الذي أنار الدرب و كلل جهودنا بالنجاح جهودنا بالنجاح و أعاننا ووفقنا على إتمام هذا العمل المتواضع – إلى منبع الحنان و رمز الشهامة و العطاء و الحب إلى أمي الغالية "وردة" –و إلى أبي العزيز رحمه الله " الصادق" – إلى رمز الشجاعة و الإخلاص إلى من علمني أن الحياة كفاح و أن العمل سر النجاح أخي " طارق " إلى رمز الفرحة و البهجة "حمودي" و "عادل" إلى روضات حناني أخواتي العزيزات "رزيقة" وزوجها نصير و الكتكوتان "كمال " و خلدون" إلى نجوى و زوجها رابح و ابنهما (...؟) . إلى أعمامي "حمدان" و " نوار" و " يزيد" و أبناؤهم: إيمان ، فطيمة ، سارة ، خليفة ، أسامة ، مريم ، صليحة ، حسام ، أيمن ، الصادق ، ملاك إلى زوجاتهم : فهيمة ، نادية ، ليندة إلى أخوالي و خالاتي إلى صديقتي اللواتي رافقنني الدرب الحنونة سامية ، و ذات الشخصية القوية سهام ، الأمورة حسناء ، المرحة نور و إلى كريمة و عبلة و ريمة ، أمينة ، هدى ، خولة ، و إلى الغالية تيسير.

و إلى كل الطلبة معهد الآداب و اللغات و في الأخير أهديه إلى نفسي

إسمهـان

إهـــــــداء

الحمد لله الذي هدانا إلى هذا و ما كنا لنهتدي لو لا أن هدانا الله ، اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك و عظيم سلطانك الحمد لله الذي أنار الدرب و كلل جهودنا بالنجاح جهودنا بالنجاح و أعاننا ووفقنا على إتمام هذا العمل المتواضع ، إلى منبع الحنان و رمز الشهامة و العطاء و الحب إلى من قال فيهما الرحمن " قل ربي ارحمهما كما ربيان صغيرا " .

أهدي ثمرة جهدي و روحي لا تحسن إلا إليها و إلى روح من لن تنساها روحي و من أحكي شوقا لرؤيتها و سماع حديثها و رؤية ابتسامتها و الشعور بعطفها و حنانها ، و إلى من تسكن بحبها قلبي و في عيني بصورتها وفي مخيلتي بذكرياتها و من تحن لها روحي إلى أمي الغالية الحبيبة "حورية" رحمها الله .

إليه رمز الشجاعة و الإخلاص ، على الذي اشترى أول قلم أخطو به طريق حياتي إلى من كان لي السراج المنير إلى أغلى هدية ربانية أبي العزيز " بابا صالح" .

إلى من هم إلي بمثابة الروح للجسم و النور للعينين و الدواء للجرح إلى أخوتي : زهير ، سفيان ، سمير ، إلفيهن روضات راحتي و زهرات أملي أخواتي : فطيمة و زوجها عبد الغني فقراوي وولديها بسمة و ياسر يسورة إلى نجاة عزيزة و زوجها عادل بوحناش و إلى الأخت الصغرى منيرة و إلى خالي الوحيد "كمال" و إلى جدي لخضر إلى عماتي لويزة و أم السعد إلى رفيقات الدرب على صدر المحنة و الإنحاء على سندي في السراء و الضراء إلى من عشت معهن طيلة الثلاث سنوات : إسمهان ، سهام ، كذلك أهديها إلى حسنة ، نور الهدى ، نعيمة ، صباح ، ياسمينة ، أحلام ، وسيلة ، و إلى نجاة مسعودة ، كريمة ، منال ، فوزية ، كريمة و في الأخير أهديها إلى نفسي

سـا مـيـة

إهـــــــداء

الحمد لله الذي تواضع لعظمته كل شيء ، الحمد لله و الصلاة و السلام على من لا نبي بعده :

أهدي هذا العمل المتواضع : إلى منبع الرحمة و الحنان أمي و أبي العزيزين الذي رافقنني في مشوار حياتي إلى العين الساهرة و القلب النابض إلى من رافقنني بدعواتها و أرضعتني الصبر و الأمان إلى أحلى اسم نطقه لساني أمي الغالية " يمونة".

إلى رمز الشجاعة و الإخلاص إلى من كان السراج المنير و الزاد الوفير إلى من أحسن تربيتي و علمني أن الحياة كفاح و أن العمل سر النجاح إلى أبي العزيز " السعيد " و إلى نسيم الصبح الذي لم يأت بعد.

إلى أخوتي الذين شاركوني حب و حنان الوالدين إلى أخي الغالي "مراد" " كمال" "عادل " "عبد الحق" "صالح" " وليد" "كريم" إلى أختي العزيزة "ربيعة" و أعمامي و خالي و خالاتي .

إلى صديقاتي و رفيقات دربي اللواتي تقاسمت معهن الحب و الحياة : إسمهان ، سامية ، ياسمينة، فايزة، عائشة ، لامية، فتيحة ، مريم ،ة زينة ، وافية ، بشرى ، نعيمة ، أمينة .

سهـام

الفهـــــــرس

مقدمة.....أ

مدخل.....02

I- الفصل الأول النظري :

1- تعريف الألم لغة و اصطلاحا.....06

2- تعريف الرثاء لغة و اصطلاحا 07

3- الرثاء في العصر الجاهلي.....09

4- الرثاء في صدر الإسلام.....29

II- الفصل الثاني التطبيقي

1- الصورة الشعرية في شعر الرثاء.....30

2- موسيقى شعر الرثاء 31

أ- القافية 35
ب- الروي 37

3- الأصوات و دلالاتها في شعر الرثاء .

أ- قوة الصوت 38
ب- التكرار 40
*تكرار الحركة 41
*تكرار الحرف 42
* تكرار الصياغة و المعنى.....43

ج- التضاد.....45
4- التراكيب النحوية و دلالاتها في الرثاء 46

أ- الجملة الفعلية 47
ب- النداء 48
ت- أسلوب الاستفهام.....49
ث-أسلوب الشرط.....50

5- الصور البيانية 52

أ- التشبيه 53
ب- الاستعارة.....54
ج-الكناية..... 56

خاتمة 57

بيبليوغرافيا 59

الفهرس

مقدمة :

عرف العرب في الجاهلية حروب طاحنة مما ولدت العديد من القتلى، فراح الشعراء يندبون موتاهم و يرثونهم بقصائد خلدت على مرّ العصور ، فظهر ما يعرف بظاهرة الرثاء و قد يبرز في هذا الغرض العديد من الشعراء ، وتعتبر الخنساء الرائدة في هذا الغرض على الإطلاق و لما كان الألم جزءا مهما من هذا الغرض ، قمنا في بحثنا هذا بدراسة تحليلية نفسية لظاهرة الألم في شعر الخنساء التي ميزتها عن بقية الشعراء الذين عاصروها، ويعود اختيارنا لهذا الموضوع إلى أن ظاهرة الألم في شعر الرثاء (الخنساء) تشكل صورة فنية جدبت الكثير من الباحثين والنقاد والتعمق في الأسباب الحقيقية لها فاستهلينا بحثنا هذا بمدخل و مقدمة و فصلين ، أحدهما نظري و الآخر تطبيقي و خاتمة .

ففي المدخل تحدثنا عن طبيعة المجتمع الجاهلي، وأما في الفصل النظري قمنا بتعريف الألم لغة و اصطلاحا، كما تطرقنا أيضا إلى طبيعة المراثي في العصر الجاهلي وصدر الإسلام، أما الفصل التطبيقي قمنا بدراسة الصورة الشعرية في شعرالخنساء و ما تتضمنه هذه الصورة من موسيقى شعر الرثاء و الأصوات و دلالاتها من تكرار الحركة و الحرف و الصياغة و المعنى والتضاد بالإضافة إلى التراكيب النحوية و انتهينا في ذلك بخاتمة .و لقد اعتمدنا في دراستنا هذه المنهج النفسي الذي ساعدنا على كشف مظاهر الألم في شعر الخنساء ، و لقد واجهتنا صعوبات في هذا البحث أهمها قلة المصادر و المراجع ، و ضيق الوقت ، وأهم المصادر و المراجع التي إعتمدناها: ديوان الخنساء ، الرثاء في الشعر الجاهلي و صدر الإسلام ل د. بشرى محمد علي الخطيب ، الخنساء بنت عمرو و شاعرة الرثاء في العصر الجاهلي ل: نجيب عطوي

أبرز ظاهرة في حياة العرب في العصر الجاهلي هي الحروب فالمجتمع العربي في الجاهلية مجتمع محارب بدافع ظروفه الاقتصادية و الاجتماعية ، حيث كان العامل الأساسي في تقرير حياة الناس و موتهم في جزيرة العرب اقتصادي بحث، و يتركز هذا حول الماء و الكلأ ، و خاصة بالنسبة للقبائل التي عاشت في الصحراء باستمرار ، و على هذا فالناحية الاقتصادية أوجدت كما يبدوا الحرب الأولى ثم تطورت عنها الحروب الجديدة التي كان دافعها أسباب جديدة خطيرة هي الثأر و الإنتقام ، و هذا ما حصل في يوم اللوى و كان لغطفان على هوازن فقد بدأ بغزو قام به عبد الله ابن الصمّة و معه بنو جشم و بنو أنضير و قُتل في هذا اليوم عبد الله ابن الصمة و رثاه أخوه دريد في أبيات يقول فيها :

أرث جديد الحبل من أم معبد بعاقبة و أخلقت كل موعد**(1)**

ثم نشأ اليوم الآخر بسبب جديد هو الثأر للقتيل السابق و قام بقيادة المعركة دريد ابن الصمة ، فغزا غطفان مطالبا بدم أخيه وقد انتقم منهم انتقاما عظيما و قُتل الكثير في يوم سُمي يم الغدير**(2)** و لقد توالت الحروب في ذلك العصر ، سواء كانت بسبب الماء أو الكلأ أو لأسباب أخرى .

و الرغبة في الثأر لا تفرق بين الغريب و القريب و ليس أول على ذلك من قتل "هجرس ابن كليب " لخاله "جسّاس ابن مرّة " ثأرا لأبيه كليب ، و كانت جليلة عندما قُتل زوجها ، حبلى "بهجرس " فتحملت إلى قومها فولدته بيتهم ، فلمّا شبّ كان أوّل ما فكر فيه ثأره لأبيه من خاله "جساس " فكان لا يغمض له جفن و كان يلحّ في طلب الثأر من خاله ، دون أن يراعي حرمة

1- بشرى محمد علي الخطيب ، الرثاء في الشعر الجاهلي و صدر الإسلام طبع في مطبعة الإدارة المحلية 1977 د ط . ص 34/33

2- ابن قتيبة: الشعر و الشعراء ج 636/2 . الأصمعيات ص 105و العقد الفريد ج 168/5

الخؤولة إذا يقول :

أصاب أبي خالي و ما أنا بالذي أمثل أمري بين خالي ووالدي

و أوردت جساس ابن مرة غصة إذا ما اعترني حرّها غير بارد

و لا تنسى أن مقتل كليب جرّ الويلات و الحروب على قاتليه عشرات السنين و بآلاف الضحايا ، و قد أكدت ذلك مراثي " المهلهل "**(1)** لأخيه و تهديدات للقتلة بشكل لا يخلوا من مبالغة تتجاوز الواقع .

و بلغ من حرص العرب في الجاهلية على الثأر أنهم رفعوه إلى درجة الأوهام و الأساطير فتخيلوا ما يسموّنه "الصدّى " ب و "الهامة"**(2)** ، فالقتيل عندهم إذا قُتل و لم يدرك بثأره ،فإنه تخرج من رأسه طائر كالبومة ، و هي " الهامة"و ذكرها هو "الصدّى" ،وهذه الهامة تصيح على قبره اسقوني ، اسقوني فإن قتل قاتله ، كفّ ذلك الطائر و سكت قال "ذو الأصبع العدواني"**(3)** في الهامة:

يا عمر ألا تدع شتمي و مذ قصتي أضربك حتى تقول الهامة اسقوني

و قال "النمر ابن تولب " في الصدى :

أعادل أن يصبح صداي بقفرة؟ بعيدا نآني صاحبي و قريبي

و قد ساعدت هذه الحروب على تطور فن المراثي حيث ولّدت بما يسمى بظاهرة الألم التي عاشها العرب الجاهليين إذا كان الناس يندبون قتلاهم في تلك الحروب

1-العقد الفريد ج220/5
2- المصدر نفسه ص 39
3- ا لمبرد الكامل .ج 1 ص325

ولقد كان للمرأة في الجاهلية دور الكبير في المراثي التي كانت تشارك فيهل بعواطفها المعبرة ، قولا و فعلا و دراسة مراثي النساء للرجال في الجاهلية تدفعنا لبحث مكانة المرأة بحدّ ذاتها أولا و بصورة عامة ، ثم موقفها من الرجل مهما كانت صلتها به بصورة خاصة في حياته و بعد موته ، و هذا يجعلنا ندرس ظروف المرأة المادية و المعنوية ، فنفهم أسلوب حياتها ، و حريتها في اختيار الظروف المناسبة لعيشها كزوجة و كأم ، كما نبحث ظروفها بعد وفاة رجلها كأخ ، أو كأب أو كزوج ، و تحتل المرأة الجاهلية في مرحلة الأمومة أعلى المراتب ، فقد كانت الأمومة شأن كبير عندهم ، و كانوا لا يعزون في المرأة إلا أن تكون أما ، كما أنها لا تزال محتقرة حتى تصير أمًّا **(1)**، و الأهمية التي اكتسبتها الأم ، كانت بسبب أنها تعني الرحم و النسب ، ومن الرحم اشتقوا الرحمة بمعنى الرأفة و العطف و المغفرة .

و لهذه الصلة أثر في عواطف الناس عامة و الشعراء خاصة اتجاه النكبات حيث يشتركون في مشاعر واحدة عند فقدان أحد الأقارب و خاصة أبناء الرحم الواحد ، و في ذلك نقرأ قول "غلفاء ابن الحارث " راثيا أخاه "شرحبيل" :

يا ابن أمي و لو شهدتك إذ تدعوا تميما و أنت غير مجابٍ

لتكارهت من ورائك حتى تبلغ الرحب أو تهز ثيابي**(2)**

فالأم تعكس معاني الحب و الحنان بين الإخوة و الأشقاء من جهة ، بالإضافة إلى مكانتها العظيمة ، في ربط القبيلة برباط النسب و الرحم من جهة أخرى.

و هي بذلك تمثل رمزا ساميا ، و مثلا أعلى تحرص عليه الرجل العربي و تحميه لحياته و روحه

1-المصدر السابق ص 45

2- المصدر السابق ص 46

و نسب الأم الكريم يستحق من ابنها كل تلك التضحيات ، حيث أنها إذا كانت حرة نسيبة فسوف يفخر بها ابنها و تمدح بها حيا و يؤبن بعراقتها ميتا.

و بذلك فإن المجتمع العربي في الجاهلية كان قائما على الحروب و الصراعات بين القبائل نتج عن ذلك سقوط العديد من القتلى تاركين ألما و حزنا لدى أهليهم ، هذا ما دفع بهؤلاء الأهالي إلى التفجع و الندب و لطم الوجوه ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على المكانة العالية التي كان يشغلها القتلى في نفوس أهلهم فظهرت بذلك قصائد عديدة ترثي الأحبة و تعدد مناقبهم و أعمالهم في الحياة عامة و في القبيلة على وجه الخصوص و هذا ما نجده في مراثي الخنساء سواءًا لأخيها صخر أو معاوية أو لزوجها و لكن أجمل مراثيها كانت لأخيها صخر بأعماله و بطولاته واصفة لأخلاقه و من ذلك تقول **(1)**:

ما بال عينيك منها دمعها سرب أراعها حزن أم عادها طرب**(2)**

أم ذكر صخر بعد النوم هيجها فالدمع منها عليه الدهر ينكسب

يا لهف نفسي على صخر إذا ركبت خيل لخيل تنادى ثم تضطرب

فالخنساء هنا تتساءل عن دمع عينيها الذي زارها ، المنكسب كلما تذكرت صخرا فيغيب النوم عنها و تنساب دموعها كأنها السيل كيف لا تبكي و قلبها متعلق به

1- ديوان الخنساء : دار صادر د ط د ت بيروت ص13

2- السرب : السائل ، عادها : زارها ، طرب : حزن

1- تعريف الألم :

لغة: جاء في لسان العرب :" ألم، لألمُ، الوجع، و الجمع آلام، .....

و تألَمَ و ألَمْتُهُ، و الأليمُ : الذي يبلغ إلجاعه غاية البلوغ ...و تألم من فلان إذا تَشَكَّى و توجَعَ منه"**(1)**

اصطلاحا: هو شعور أو انفعال ينتاب شخصا ما وذلك يكون إثر تأثره بمثير خارجي أو داخلي ما، فالخارجي كأن يتعرض هذا الشخص لإصابات أو جروح، فيظهر للعيان.

أما بالنسبة للداخلي وهو الأكثر تأثيرا على الشخص كإحساسه بالألم جراء فقدانه لعزيز عليه، فينعكس ذلك على نفسيته، فيسيطر الحزن والكآبة عليه، تراه كئيبا مهموما، وغالبا ما يكون الألم سببا في فقدان الشخص الشعور بمن حوله، هذا ما يؤدي به إلى الإصابة بالأمراض النفسية، كما قد يكون دافعا للإبداع في بعض الأحيان، والخنساء لأحسن مثال على ذلك.

1- ابن منظور لسان العرب دار صبح ودار البيضاء ت ح خالد رشيد القاضي ط 2006، ص 173

2- تعريف الرثاء :

لغة: الرثاء بكاء الميت و مدحه، و جاء في لسان العرب "رثى فلان فلاناً يرثيه رثياً، و مرثية إذا بكاه بعد موته قيل رثاه يرثيه ترثية ... و رثوتُ الميت أيضا إذا بكيته و عددت محاسنه، و كذلك إذا نظمت فيه شعرا "**(1)**

و يقال : "رثَى، و الرَثْيَةُ و الرَثَيَةُ أي الضعف، و الرَثْيِيَة داء يعرض في المفاصل، و لا همز فيها ... وامرأة رثاءةٌ،و رثايَةٌ أي كثيرة، الرثاء لبعلها أو لغيره، ممن يكرم عندها تنوحُ نياحة"**(2)**

و توجد هناك علاقة وطيدة بين لفظة الرثاء، و كل من لفظة "أبَنَ" و "ندب" و "نعى"، و هي الألفاظ التي تستعمل بمعنى الرثاء

و دراسة معاني هذه الألفاظ يجعلنا نحس، بالبعد بينها، و بين المعني الإصطلاحي الجديد للرثاء ، و الذي هو بكاء الموتى، و تعداد محاسنهم بالشعر و النثر "**(3)**

اصطلاحا:

أما المعنى الإصطلاحي فيعني الحرب و البكاء و الألم لفقدان الأعزاء و الذي قد يؤدي بصاحبه إلى الإنهاك الجسدي و النفسي مما يجعله يضعف و ينهار، فيصبح في هذه الحالة كالجريح الضعيف الذي سقط في المعركة و ينشد الراحة فلا تجدها، كما قد يؤدي الحزن الشديد على

1- المصدر السابق ج 05، ص 132.
2- المصدر نفسه .
3- بشرى محمد علي الخطيب الرثاء في الشعر الجاهلي و صدر الإسلام جامعة ص 20.

صاحبه فيفقده الصواب فيتصرف بحماقة و يصبح كالمرثو، في عقله إذ يضرب نفسه و يمزق ثيابه **و يخمش** وجهه حزن و كمدا على من فقد و هو بهذا المعنى يقترب من معنى الضعف **(1)** و تعد مراثي الخنساء* في العصر الجاهلي من عيون الشعر العربي في هذا الغرض

1- المرجع السابق ص 23 .

هي تماضر بنت عمرو ابن الحرث، ابن الشريد، و الخنساء لقبُ لقّبت به تشبيها لها بالبقرة الوحشية في جمال عينيها، خطبها دريد ابن الصمة فردّته لكبر سنّه فهجاها لم ترد عليه تزوجت أولا رواحة ابن عبد العزيز السليمي و سمّاه الأغاني و العقد الفريد عبد العزى و هو اسم وثني كان له قبل إسلامه فلما أسلم استبدل به اسم رواحة، فولدت له عبد الله ثم تزوجت بعده مرداس ابن أبي عامر السليمي فولدت له يزيد و معاوية و عمرا و عمرة، ولما ظهر الإسلام أسلمت الخنساء مع قومها و أنبعث مع المسلمين لفتح بلاد فارس و معها أولادها الأربعة فقُتل أولادها في معركة القادسية سنة 16 ه (638 م) فقات لما بلغها خبر مقتلهم : الحمد لله الذي شرفني بقتلهم و أرجوا من ربي أن يجمعني يهم في الجنة، و لقد أجمع الشعراء و رواد الشعر القدماء أنه لم تكن امرأة قبلها و لا بعدها أشعر منها في الرثاء، و كانت في أول أمرها تقول الشعر و لا تُكثر منه حتى قُتل أخواها معاوية و صخر فحزنت عليهما حزنا شديدا خاصة على صخر، الذي كان أحبها إليها لحلمه وجوده و شجاعته و جمال وجهه، ففتق الحزن أكمام شاعريتها فنطقت بشعر هو آهات نفس لانعة و صدر متألم و دموع قلب جريح و توفيت الخنساء في البادية في أول خلافة عثمان ابن عفان سنة24 ه، وورثت عنها ملكة الشعر بنتها عمرة و بقيت بعض أشعارها في ديوان أمها .ينظر إلى الديوان : ج 5،6

3- الرثاء في العصر الجاهلي :

عرف العصر الجاهلي من الحروب و التقاتل بين القبائل العربية بسبب التزاحم على العيش من جهة، و مع الأمم الأخرى المحيطة به التي كانت تحاول قهرهم و إذلالهم من جهة أخرى ما لم يعرفه عصر أخر من العصور، و كان هذا التقاتل يوقع الكثير من الضحايا، مما ولّد جوّ مأساويا كان يحرك المشاعر عند أصحاب و أهل القتلى فيندفعون إلى رثاء القتلى بكثير من الدموع و مرارة من العبارات و لما المرأة بحكم واقعها التركيبي هي أكثر من الرجل اشتعالا بالعاطفة و أقدر على التعبير بما يجول في النفس من أسى و تفجع ‘كان الرثاء هو أكثر عند النساء منه عند الرجال، في هذا العصر، و ربما يعود هذا إلى طبيعة المرأة في رقة قلبها، وسخاء دمعها، و العامل الإنساني الذي يكمن وراء الرثاء و هو الذي يطبع هذا الفن بطابعه، فيقال عنه إنه فن إنساني يرفع فوق المصلحة الذاتية و ليس غريبا أن يبلغ فن الرثاء في العصر الجاهلي الذروة في حرارته و توهجه و أن تشتهر بعض الشاعرات من النساء فيه، رغم أن النصوص المتوفرة لدينا قليلة و هي عبارة عن مقطوعات متفاوتة في الطول و مندمجة في حكايات نصف تاريخية كالملاحم المستوحاة "**(1)**

من حروب العرب كحرب البسوس من أخبار أيام العرب المشهورة أو من غزواتهم، فالشعر الرثائي في شبه الجزيرة العربية كان مخصصا لتهدئة روح الميت الذي غالبا ما يكون من أفراد العائلة و هذا الشعر كان يشترك فيه النادبون و النادبات، إلا الدور الرئيسي أُوكلَ

1- علي نجيب عطوي : الأعلام من الأدباء و الشعراء، الخنساء بنت عمرو شاعرة الرثاء في العصر الجاهلي دار الكتب العلمية .بيروت ط1، 1993 ص 69-70

في البدء إلى أخت الميت ثم إلى الأم أو الزوجة التي تناسبها إيمائية الألم أكثر من سواها،تبقى القضية محض ارتجال نسائي اقتضته أولا و أخيرا ظروف الفاجعة التي لا تنذر أحدا قبل وقوعها و يظهر أن الاهتمامات التي أنصبّت على نمط معين من شعر الرثاء النسائي تلك التي تناولت بالتفجع و الندب شخصيات كان لها أثرها في مجال الحياة العامة لأن مثل هذه الموضوعات، التي تتناول الموضوعات الجاهلية كثيرا ما كانت تبتعد عن طابع السمة العفوية التي تميزت بها سائر مقطوعات الرثاء النسائي، و لقد وصل إلينا شعر حافل بالندب و التفجع و الرثاء، من خلال بعض كتب و مصادر الأدب على شاعرات أو نادبات، كُنّ على صلة بالشخصيات ذاوات الشأن آنذاك

وهناك جملة من أسماء الشاعرات اللواتي برزن في مجال الرثاء من أمثال "قتيلة بنت النظر" و "هند بنت عتبة "، و" صفية بنت مسافر" .

أما قتيلة بنت النظر فقد نشأت في بيت عرف الديانة المسيحية التي كانت معروفة في بعض حواضر الجزيرة العربية، و ليس بغريب أن نجد أباها النظر يشارك القريشين في قتالهم النبي - عليه الصلاة و السلام و أنصاره يوم "بدر" و لعل شهرتها كانت نتيجة لتلك القصيدة المشهورة التي أنشدتها أمام الرسول - عليه الصلاة و السلام – بسيفه ولسانه .

أما هند بنت عتبة فإنها لم تنل امرأة عربية شهرة و ذكرا في الكتب و السير ما نالته هند نظرا لما كان لها من دور في السياسة القريشية في زمن الجاهلية أو في بداية الدعوة الإسلامية، و ذلك لانتمائها إلى ذرى قريش فهي هند بنت عتبة ابن ربيعة ابن عبد شمس ابن عبد مناف القريشية

المرجع السابق ص 71
ينظر المرجع السابق ص 73

زوجة أبي سفيان،و أم معاوية، إلا أنه لم يعرف تاريخ ولادتها و كل ما ذكرته المصادر، أنها ولدت في الجاهلية، و لما شبت تزوجها (الفاكه بن المغيرة) أحد فتيان قريش، و كان من كبراء قومه و لكنها لم تلبث عنده طويلا فطلقته ،و تزوجت أبي سفيان أحد أبرز رجالات قريش في الجاهلية.

اكتسبت هند شهرتها من خلال مشاركة القريشين في حروبهم ضد الإسلام، و نظرا لما كانت تتمتع به من قوة تحريضية في المعارك فقد ذكر أنها خرجت مع الرجال لقتال المسلمين يوم "أحد"،كما ذكر أنها كانت تقف مع النساء تنقر الدفوف .

لقد كانت تتميز بقساوة القلب، حيث كانت تدور هي و بعض النساء على قتلى "بدر" و أخذنا الأذان و الأنوف ليتخذنها قلائد، "كما لاننسى ما فعلته بحمزة حين بقعت بطنه و أخراج كبده و لوكها و لفظها.

---

*المصدر نفسه ص 73

و مهم يكن فقد لعبت هند دورًا كبيرًا في حروب المشركين ضد المسلمين إلا أنها أسلمت بعد فتح مكة، و معظم مقطوعات هذه الشعرية كانت في رثاء أبيها عتبة حين قُتل يوم بدر حيث فها هي هند تأمر عيناها أن تجود عليها بالدمع الغزير على خير رجال بنوا هاشم و بنوا المطلب أباها الذي كان سيد قومه أضاقه المسلمون حدّ أسيافهم و جُرّ عاريا و التراب على وجهه

كما نجد كذلك في الرثاء الجاهلي صافية بنت مسافر، وردت لها مقطوعات في رثاء أهل القليب الذين أصيبوا يوم بدر في قريش حيث كانت من المحرضات يوم بدر إلى جانب المشركين ضد الرسول والمؤمنين فتقول في رثاءها لقتلى القليب :

يا من لعينٍ قداها عائرُ الرّقدِ ≠ حدّ النهار و قرن الشمس لم يعُدِ

أُخبرتُ أن صورة الأكرمين قفا ≠ فد أحرزتم مناياهم إلى أمدٍ

و فرّ بالقوم أصحاب الركاب ولم ≠ تعطف غداة إذٍ أمٍ على ولدٍ

قومي صفينة و لا تنسى قرابتهم ≠ و إن بكيت فما تبكين من يعد(1)

1- علي نجيب عطوي ، الخنساء شاعرة الرثاء في العصر الجاهلي ص74

فان حزنها الشديد على القتلى يوم بدر قد منع عينيها من النوم ،وأنهم ذهبوا من دون رجعة فهي تأمر نفسها بأن لاتنسى قرابتهم .

لم يقتصر الرثاء في الجاهلية على النساء فقط، بل كان للرجال حظ وفير في هذا الغرض فها هو المهلهل يرثي أخاه كليبا فبقول :

كليب لا خير في الدنيا و من فيها ≠ إن أنت خلّيتها في من يخلّيها

كليب أي فتى غزّ و مكرمة ≠ تحت أفاه التي يعلوك ساقيها

نعى النعات كليبا لي فقلت لهم ≠ مالت بنا الأرض أو زالت رواسيها **(1)**

فالمهلهل يرى أن موت كليب جعل لا خير في هذه الدنيا و ما عليها، كيف لا و هو كليب العزة و المكرمة .

كما نجد كذلك من الشعراء الجاهلين المدّخل مالك ابن عمرو يرثي أخاه عويمر :

لعمرك ما إن أبو مالك ≠ بوانٍ و لا بضعيف قواه

أبو مالك قاصر فقره ≠ على نفسه و مشيعة عناه **(2)**

بالإضافة إلى رثاء عنترة للملك زهير ابن جدعة العبسي يقول:

خّف البدر حين كان تماما ≠ و خفي َنوره فعاد ظلاما

و ضرار النجوم غارت و غابت ≠ و ضياء الآفاق صار قِتاما

حين قالوا زهيرًا ولّى قتيلاً ≠ خيّم الحزن عندنا و أقام (1)

فهنا شبه عنترة الملك زهير بالبدر الذي يضيء الكون فلما مات خفية النور و الضياء و خيمة الظلام و الحزن، كما غابت النجوم و غارت.

بالإضافة إلى ما ذكرناه حول الرثاء في العصر الجاهلي و تمثلنا لبعض الشاعرات و الشعراء الذين برعوا في هذا الغرض كشواهد، نخص بالذكر الخنساء في مراثيها في هذا العصر لأنها سيدة هذا الغرض من جهة، و من جهة أخرى باعتبارها موضوع دراستنا و محور اهتمامنا .

الموضوعات التي تطرقت إليها الخنساء في شعرها هي ما قالته في رثاء أخويها " صخر و معاوية"

و لما كان أكثر شعر الخنساء قيل في صخر، لنا أن نعرج و لو قليلا عن علاقتها به

كان صخر شريفا في بني سليم، حيث خرج في غزاة فقاتل فيها قتلا شديدا فأصيب بجرحا واسعا من جراء طعنة من قبل ربيعة بن ثور الأسدي، فأدخل جوفه حلقا من الدرع، فاندمل عنه حتى شق عليه، بعد سنتين، فكان ذلك سبب موته (2)

فترك وفاته أثرا كبيرا على الخنساء فكان جلُ شعرها موجه إلى صخر، كيف لا تبكيه في مراثيها و هو بالنسبة لها صاحب اليد الكريمة و القلب المحب العطوف، و الذي كان يميل إلى الصفات العربية كلها .

1-ديوان عنترة، دار صادر بيروت د .ط، د ت ص 217

2- ديوان الخنساء ص6

*حنا الفاخوري في الأدب العربي و تاريخه، الأدب العربي القديم، دار الجيل، بيروت .د ط،د ت المجلد 1 ص125

بالإضافة إلى كلثوم بنت عبد ود بن قيس، شاركت أخاها إلى جانب المشركين في قتال المسلمين يوم الخندق فقتل على يد الإمام علي ابن أبي طالب فرثته رثاءا أشادت ببطولاته فتقول:

أسدان في ضيق المكرّ تجادلا ≠ و كلاهما كفؤٌ كريم باسل .

فتخالسا سلبُ النفوس كلاهما ≠ وسط المجال مجالدٌ و مقاتلٌ.

و طلاهما حصِرَ القناع حفنِطة ≠ لم يُثنه عن ذاك شغل شاغل .

فاذهبْ عليّ فما ظغرت بمثله ≠ قول سديدٌ ليس فيه تحامُلٌ.**(1)**

فهي هناك تصف كلّ من أخيها عمرو و الإمام علي بأنها أسدان و أن كلاهما كفؤ للأخر في هذا القتال، حيث خاص هذان الرجلان قتالا و كلّ يريد الظفر بنفس الآخر فيكفيه فخرا أنّه قُتل على يد رجل كريم كالإمام عليّ، كما نجد عُمرة بنت دريد التي لم تأت شهرتها ألاّ من خلال بعض المقاطع الشعرية في فن الرثاء، إذ ذكرت المصادر أنها رثت 'أباها بعد مقتله على يدي ربيعة ابن رفيع المعروف بابن لزغة من مراثيها نجد:

قالوا قتلنا دريدا قُلتُ قد صدقوا ≠ فظل دمعي على السّرْبال ينحدر

لولا الذي قهر الأقوام كلّهم ≠ رأت سليم و كعب كيف تأمر .

إذا تصبحهم غِباً و ظاهرة ≠ حيث استقرت نداهم مجفلٌ ظافر.**(2)**

فهي لما سمعت بمقتل أبيها صدّقت فأخذت دموعها تنحدر مدرارا كيف لا و قد كان سيد قومه و قهر الأقوام كلهم، و عاشت هذه الشاعرة الجاهلية إلى ما بعد وفاة أبيها بزمن طويل حتى أسنت

1- السيرة النبوية لابن هشام جزء الثالث ص 225
2- د.علي نجيب عطوي : الخنساء بنت عمرو إشاءة الرثاء في العصر الجاهلي ص77

فهو حصن العشيرة و خطيبها، و هو موئل الضعيف و الضيف و هو عنوان الكرم و الجود، وهو كل ماهو كامل و محبوب و هكذا كان صخر دموع حياة، قطرات الفؤاد و كانت الخنساء عنوان العطف و الإخاء و الوداد و هاهي الخنساء ترثي صخرا محددة معالم شخصيته و ما اتصفت به:

ياعين مالك لاتبكين تِسْكابا ≠ إذا رابَ دهرٌ و كان الدهرُريّابا

فابكي أخاك لأيتام و أرملة ≠ وابك أخاك إذا جاورت أجنابا *

وابكي أخاك لجيل كالقطا عصَبًا ≠ فقدنَ لمّا ثوى سيباً و انهابا *

يعد وابه سابحٌ أنهد مراكلُهُ ≠ مجلبب سِواد الليل جلبابا *

حتى يُصبّح أقواما تحاربهم ≠ أوسُلبُ دون صف القوم أسلابا**(1)**

فالشاعرة هنا تخاطب عينها بصيغة التعجب، عن السبب الذي من أجله لا تسكب الدموع على صخرٍ، الذي عيبه الدهر عن أهله و عن الناس ثم تعدد الخنساء هؤلاء الذين خسروا صخراً فإذا هم الأيتام و الأرامل الذين بفقدهم لصخرٍ فقدوا المعيل في الحياة الذي كان يرفع عنهم العوز و الحاجة فتقول :

هوالفتى الكامل الحامي حقيقته ≠ مأوى الضريك ’ذا ما جاء من ثابا

يهدي الرعيل إذا ضاق البسيل بهم ≠ نهدا التليل لصعب الأمر ركّابا * **(2)**

1- الديوان ص 7
*الأجناب : الغرباء، ثوى : أي مضى ، و الأنهاب ج نهب : الغنيمة
* السابح : السريع الجري ، و السوابح الخيل لسحبها في سيرها .
*التليل : العنق
2- الديوان ص 12

بعد أن مهدت الخنساء لرثاء أخيها صخرًا بذكر بعض صفاته قالت ترثيه:

ما بال عينك منها دمعها سرب ≠ أراعها حزنٌ أم عادها طربٌ*

أم ذكر صخرٍ يعيد النوم هيجها ≠ فالدمع مع منها عليه الدهر ينسكب

يا لهف نفسي على صخرٍ ’ذا ركبت ≠ خيلٌ لخيلٍ تنادي ثم تضطرب

قد كان حصنا شديد الركن ممتنعاً ≠ ليثا إذا نزل الفتيان أو ركبوا .

أغّرٌ أزهر مثل البدر صورته ≠ صافٍ عتيق فما في وجهه ندب*(1)

تخاطب الخنساء عينها عن سبب بكائها هل هو من الحزن أم من الفرح، ثم تستدرك الأمر و تعلم أن سبب سكب الدمع هو تذكر الفقيد العزيز على قلبها وهو أخيها صخر، و التذكر لا يأتي عادة إلاّ قبل النوم حيث يكون الصفاء الذهني و استرخاء الأعصاب، فيعمد الإنسان بعد أن يضع رأسه على وسادته لمحاولة التذكر، فيكون تذكره هذا الأعز الأشياء إليه و صخرٌ أعز شيء عند الخنساء و ما إن تذكرت الخنساء صخرًا حتى راحت الدموع تجري من ما قيها فصخرٌ عندها شجاعٌ عند مقارعة الأعداء في ساحات الوغى و من شجاعته هذه رسمت الكثير من الناس الأمان و الاطمئنان، فهم يستلهمون من الجرأة و الإقدام، كيف لا يكون هذا وهو الليث الذي يزأر و ثيب فيفتك بالأعداء – كما وصفته بالبدر في إشراقه و بهائه خاصة عند اكتماله حيث لا يبدو عليه شيء سوه من ذلك الجمال .

1- المصدر السابق ص 13

*-الطرب: الحزن .

* ندب : أي هر أبيض مثل البدر، والندب أثر الجرح .

كما واصلت الخنساء رثائها لأخيها صخرٍ، و ها هي هنا تتحدث عن لحظة وفاته في قولها:

طرق النعي على صفينة غدوةً≠ و نعى المعمّم من بين عمرو *

حامي الحقيقة و المجير إدا ≠ إما خيف حدُ نوائب الدهر .

الحي يعلم أنّ جفنته ≠ تغدو غداة الريح أو تسري *

فإذا أضاء جاش مرجله ≠ فلنعم رب النار و القِدْرِ .

أبلغ مواليه فقد رزئوا ≠ مولى يرشهم و لا يشري . *(1)

ففي هده الأبيات تتحدث الخنساء عن لحظة وفاة صخر و كيف وصل خبر النعي إلى بني سليم في قريتهم (صفينة)، فقال الناعي : لقد مات سيد بني سليم حامي الحقيقة و المجير كل خائف من نوائب الدهر، فقيمته عرفها جميع الناس لأنه وصل إليهم مع الريح الجارية و من صفاته أن النار إذا اشتعلت في مرجلة علم جميع الناس أنّه يطهي الطعام للضيوف، و قد قال الناعي مخاطبا الفقراء و المساكين . لقد غاب من كان يطعمكم و سقيكم و يعينكم عن شجون الدنيا.

و إذا كان صخرًا قد استهلك أكثر شعر الخنساء الرثائي فإن لها في رثاء أخيها معاوية أبيات رائعات . فقد قالت فيه:

1- الديوان صفحة 57

*صفينة : قرية لبني سليم كثيرة النخل .

*جفنته : قِدْرُه الكبيرة

* يرشهم : يطعمهم و يسقيهم و يعينهم لا يشري : لا يغضب

يا عين جودي بالدمو ≠ ع المستهلات السواجم *

فيضا كما انخرق الجما ≠ ن وجال في سلك النواظم *

و ابكي معاوية الفتى ≠ و ابن الخضارمة القُمَاقِم *

و الحازم الباني العلى ≠ في الشاهقات من الدعائم

تلقى الجزيل عطاؤه ≠ عند الحقائق غير نادم .

أسقى الإله ضريحه ≠ من صوب دائمة الرّهائم*(1)

فالخنساء كما في صخر في معاوية أيضا لطلب من عينها أن تجود بالدمع و أن يفيض ذلك الدمع و يخترق العين كما يخترق السلك الجمان لينظمه و ذلك الدمع الفياض سيكون على معاوية الفتى السيد ابن السادة العظام الحازم الرأي و هذا الإنسان يبني المجد بشجاعته و بكرمه . و أخيرا تدعو لأخيها من الله تعالى بالرحمة و أن تنزل عليه كما ينزل المطر على الأرض وقد تتناول الخنساء صخرًا و معاوية في رثاء واحدٍ فتقول :

هريقي من دموعك أو أفيقي ≠ و صبرا إن طقت و لن لطيعت *

و قولي إن خير بني سليم ≠ و فارسهم بصحراء العقيق .

و إني و البكى من بعد صخرٍ ≠ كسالكة سوى قصد الطريق

فلا و أبيك ما سلبت صدري ≠ بفاحشة أتيت و لا عقوق * (2)

1- المصدر السابق ص 134
المستهلات السواجم : السائلة .
* الجمان : اللؤلؤ، سلك : خيط، النواظم : التي تدخل اللؤلؤ في السلك
* الخضارمة : السيد، الجواد . المعطاء . القماقم : السيد الكثير الخير .
* صوب : الانصباب، الرهائم : رهمة : المطر الضعيف الدائم
2- الديوان : ص 113
* هريقي : صُبي
*أرادت أنّها لا تجد في كل ما أتاه فاحشة و لا عقوقا فشلوا نفسها عنه

إلى أن تقول :

وإذا فينا معاوية ابن عمرو ≠ على أدماء كالجمل الفنيق

فبكيه فقد و لّه حميدا ≠ أصيل الرأي محمود الصديق .

هو الرّزء المبينُ لا كباس ≠ عظيم الرأي يحلم بالنعيق .(1)

تأمر الخنساء في هذه الأبيات عينها بأن تهرق الدمع على أخويها لأن الدمعة تذهب اللوعة فهي عندما تبكي صخرًا و معاوية فهي تُبكيها، و قد فقدت السيطرة على نفسها فتاهت و ضاعت عنها مسالك الطريق، ولا يوجد بعدهما ما شلوا به نفسها عنها .

و لم تهدأ نفسية الخنساء حتى يؤخذ بثأر أخويها فعمدت في هذه الأبيات على تحريض قومها على الأخذ بالثأر فتقول :

أبني سُليم أن لقيتم فقعسًا ≠ في محبسٍ ضنكٍ إلى وعْرِ

فالقوهم بسيوفكم و رماحكم ≠ و بنضخة في الليل كالقطر *

حتى تفضوا جمعهم و تذكروا ≠ صخرًا و مصرعه بلا ثأر .

و فوار سامنا هنالك قُتلوا ≠ في عثرة كانت من الدهر .

لاقى ربيعة في الوغى فأصابه ≠ طعن بجائفة إلى الصدر .

بمقوم لدن الكعوب سنانه ≠ ذرب الشبات كقادم النسر *

و نجا ربيعة يوم ذلك مرهقا ≠ لا يأتلي في جودة تجري (2)

1- الديوان ص 113

2- المصدر نفسه ص 57

* النضخة : المطرة

* بمقوم : الرمح، ذرب : حاد، الشبات من السيف : قدر ما يقطع به .

فهي تريد من بني سليم قومها، أن لا يرحموا من قتلوا أخويها إذا لاقوهم في ساحات الوغى، بل عليهم أن يُبادروهم بضرب بالسيوف و طعن بالرماح حتى يتفرق شملهم ويولوا منهزمين على أعقابهم و أن يتذكروا صخرًا و معاوية كلّما ضربوهم بسيف أو طعنوهم برمح .

و هكذا كلما ذُكر الرثاء في العصر الجاهلي حضرت معه صورة الخنساء التي كانت جل مراثيها من عيون الشعر العربي خاصة في أخويها صخر و معاوية.

وإذا كانت الخنساء قد أكثرت في بكائها وحزنها وألمها على أخويها في الجاهلية فإن الإسلام ذهب بحزنها و أبدلها منه أمنًا و سكينة .

4- الرثاء في صدر الإسلام :

كان لظهور الإسلام أثرٌ عميق في اللغة و الأدب و العلوم عند العرب حيث دفع بالعرب أن ينكفئ على ذاته، و يتنبه للشخصية الكامنة في داخله و القوي التي يتسلح بها ؛ ليخرج من خيره الضيق و يفتح عينيه على عالم الله الواسع، و على ثقافات الأمم و الشعوب، أن الإسلام كان دين و دولة و ثقافة جاء هذا الدين ليغير ذلك الواقع و يمحوا تلك الجاهلية التي جاءت من جهلهم بالدين و عبادتهم للأصنام أولا و حمقهم و طيشهم ثانيا لقوله تعالى على لسان نبيه الكريم « قل يا أيها الكافرون، لا أعبد ما تعبدُون، و لا أنتُم عابدُون ما أعبدْ، و لا أنا عابدٌ ما عبدتم، و لا أنتم عابدون ما أعبد، لكم دينكم و ليي دين »**(1)** فكانت دعوة التوحيد و عبادة الإله الواحد و دعوة المساواة هي أول المعامل التي هدّمت ذلك الواقع الجاهلي لقوله تعالى« قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد لم يولد، ولم يكن له كفؤا أحد »**(2)** فالبتوحيد تحول العربي الخاضع لقبيلته في كل تصرفاته إلى مسلم تابع لدين الواحد يجمع المسلمين فاإنهار ركن من أركان الجاهلية و هو العصبية القبلية بالإضافة إلى انهيار دعوة الشرك و الوثنية، أما المساواة فقد ألغت الطبقية بين الأغنياء و الفقراء و رفضت العبودية و لهدا رفض سادة قريش بالمرصاد لهذه الدعوة التي أفسدت عليهم دينهم و عبيدهم فسوّت بينهم و بين عبيدهم على أساس جديد و هو التقوى و اليمان بالله **(3)** لقوله تعالى « يا أيها النُاس، أنا خلقناكم من ذكر و أنثى و جعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله

1- الكافرون أية /1إلى 6
2- الإخلاص أية /1 إلى 4
3- بُشرى محمد علي الخطيب، الرثاء في الشعر الجاهلي و صدر الإسلام ص 255

أتقاكم »(1)

و بمجئ الإسلام جاءت فكرة البعث بعد الموت و الحياة و الجنة و النار، لتضع العربي وجها لوجه أمام الموت، فجعلته غايته باعتباره أمرا يوصله إلى الخالق في جنته و نعيمه، فيحاسب الإنسان بعد موته على ما جنت يداه.

كما ألغى الإسلام فكرة الثأر و الانتقام التي كانت دافعا لكثير من الحروب الجاهلية، عندما جعلها واجب الدولة لحفظ الأمن و النظام على أرض العربية قال تعالى «و لَكُمْ في القصاص حياة يا أولي الألباب »(2)، كما حرّم شرب الخمر و الميسر و الزنا قال تعالى «إنما الخمر و الميسر و الأنصاب و الأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه»(3)

فالخمر كان يُعد في الجاهلية إحدى مستلزمات الكرم و الضيافة التي يُمدح العربي بتقديمها لضيوفه، و بهذا أحدث الإسلام تغيرا كبيرا قد ألمّ به الكثيرون و أفاضوا في الحديث عنه، و لا شك في أن التغير الذي أحدثه الإسلام في حياة العرب كان له الأثر في نفوس الشعراء فاانفعلوا به و تجاوبوا معه بين مؤيد و معارض و كان من الذين ساندوه "حسان ابن ثابت" و " كعب ابن مالك " و "عبدا لله ابن رواحة"

و قد عاشوا الجاهلية حقبة طويلة، و نضجت شاعريتهم في ذلك العصر، لكنهم لمّا أدركوا الإسلام آمنوا به و ساندوه بشعر جديد استوحى مادته من العقيدة الإسلامية و الدعوة النبوية الجديدة .

1- الحجرات/ 49
2- البقرة ./179
3- المائدة / 90

و لقد وقف الإسلام و الدين من الشعر موقف المؤيد تارة و المعارض تارة أخرى(1) فقال تعالى : «و الشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنهم في كل وادٍ يهيمون و أنهم يقولون مالا يفعلون »(2)

كما قال عليه الصلاة و السلام كذلك [لان يمتلئ جوف أحدكم قيحا حتى يُريه خير له من أن يمتلئ شعرا] (3)

و يفهم من قوله تعالى و قول الرسول الكريم وجود معارضة دينية للشعر عامة، و لكن لو تتبعنا موقف الرسول – عليه الصلاة و السلام – من الشعر و الشعراء لوجدنا أن هذه من المعارضة الخاصة بالشعراء الذين قاوموا الدين الجديد و حاربوه و أمّا من ساند ذلك الدين و حارب الكفار من قريش ومن تبعها بالشعر ' فقد ساندهم الرسول-عليه الصلاة و السلام – و أيدهم : فحسان كان بلسانه الحاد سيفا مسلطا على رؤوس المشركين و ذرعا صلبًا يحمي المسلمين و دينهم الجديد و لهذا شجعه الرسول –عليه الصلاة و السلام – و أثابه على شعره (4)

و رغم ذلك التشجيع النبوي لشعراء الإسلام فإن الشعر قد ضعُفَ في هذا العصر بصورة عامة بسبب انشغال العرب بهذا الدين الجديد في البداية ثم الفتوحات الإسلامية، و مما يؤكد ذلك أن حسان نفسه كان شعره في الجاهلية أقوى منه في الإسلام .

1-المصدر السابق ص 256 إلى 258
2- الشعراء / 224
3- الحديث النبوي الشريف
4- بُشرى محمد علي الخطيب، الرثاء في الشعر الجاهلي و صدر الإسلام، كلية الآداب جامعة بغداد، دط، بغداد ص261/258

و لكن ما يهمنا في هذا العصر هو الشعر عامة و غرض الرثاء خاصة . فلقد هذب الإسلام هذا الغرض الذي كان يهتم بحديث الخمر و الميسر و الثأر فظهرت هناك مراثي إسلامية نوردها كالآتي :

1/ المراثي المتقدمة التي قيلت في بداية الإسلام ، و يشترك فيها الكفار و المشركون و التي قيلت في قتلى المعارك الإسلامية الأولى بين المسلمين و المشركين و قُتل فيها الكثير من كلى الطرفين كوقعة بدر 1 و الخندق و ينقسم إلى قسمين:

ا- المراثي المشتركة : و هي المراثي التي تجمع بين المسلمين و الكفار فيبكي المسلمون شهداءهم و يرثونهم شعرا **(1)**

فيجيهم الكفار بنفس أسلوبهم في الوزن و القافية و يردون عليهم ثم يبكون قتلاهم في مناقضة بين الطرفين.

ب/ المراثي الخاصة: و هي القصائد الرثائية التي قيلت أيضا في قتلى المعارك الإسلامية و لكنها بعيدة عن أسلوب النقائص الرثائية السابقة الذي يسيطر عليها روح الحوار المشترك، ففي المراثي الخاصة يرثي المسلمون أو المشركون قتلاهم منفردين دون أن يرد عليهم أحد، و لذلك يمكننا تسميتها بالمباكي الفردية .

أمّا المراثي المتأخرة فهي التي قيلت بعد وفاة الرسول –عليه الصلاة و السلام – و استقرار الإسلام و الدعوة النبوية في أرض العرب و تشمل مراثي الرسول – عليه الصلاة السلام – و الخلفاء الراشدين و التابعين **(2)** . و من شعراء الراثي المتأخرة نجد رثاء السيدة فاطمة الزهراء

1-المصدر السابق ص 261

للرسول –عليه الصلاة و السلام – تقول (1):

أغبرُ آفاق السماء و نوّرتْ ≠ شمس النهار و أظْلم العصرانُ

فالأرض من بعد النبي كئيبة ≠ أسفا عليه كثيرة الرجفان .

فليبكه شرق البلاد و غربها ≠ و لْيُبْكهِ مضرٌ و كلُّ يمان *

و ليُبكه الطود المعظم جوُّه ≠ و البيت ذو الأستار و الأركان

كما رثى أبو بكر الصديق الرسول –عليه الصلاة و السلام – كذلك بقوله (2):

فُجعنا بالنبي و كان فبنا ≠ إمام كرامة نعم الإمام .

و كان قِوامُنا و الرّأس منّا ≠ فنحن الآن ليس لنا قُوام *

نموح و نشتكي ما قد لقينا ≠ و يشتكوا فقده البلدُ الحرام

فلا بتعد فكل كريم قوم ≠ سيدركه و لو كره الحمام

أما فيما يخص رثاء الخنساء في هذا العصر فقد أسلمت مع ظهور الإسلام مع قومها سُليم و انبعثت مع المسامين لفتح بلاد فارس و معها أولادها الأربعة في وقعة القادسية 16هـ فقالت لمّا بلغها خبر مقتلهم : الحمد لله الذي شرّفني بقتلهم و أرجوا من ربي أن يجمعني بهم في مستقر الرحمة

و لم تزل الخنساء تبكي أخويها صخر و معاوية حتى أدركت الإسلام فأقبل بها بنوا عمها و هي عجوز كبيرة إلى عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فقالوا : يا أمير المؤمنين هذه

1- سراج الدين محمد، الرثاء في الشعر العربي، دار الراتب الجامعية سلسلة المبدعون –بيروت / لبنان د.ط.ص

2- المرجع نفسه ص

*مضر: قبيلة

*قوام : عمد أو قوة.

الخنساء و قد قرحت آما قها من البكاء في الجاهلية و الإسلام، فلو نهيتها لرجونا أن تنتهي فقال لها عمر: اتق الله و أيقني بالموت ، قالت أبكي أبي و خير بني مُضرّ صخرًا و معاوية وإني لموقينة بالموت ، قال : أتبكين عليهم و قد صاروا جمرة في النار قالت ذلك أشد لبائي عليهم فردّ لها عمر وقال: خلوا عن عجوزكم أباكم، فكل امرئ يبكي شجوه و نام الخليُّ عن بكاء الشجي(1) . فتقول في رثاء صخر :

- قذي بعينك أم بالعين عوَّار ≠ أم ذرفت إذ خلت من أهلها الدار*

كأن عيني لذاكراه إذا خطرت ≠ فيض سيبل على الخدين مدرار*

تبكي لصخر هي العبدى و قد ولهت≠ و دونه من جديد الترب أستار*

تبكي خناس فما تنفك ما عمرت ≠ لها عليه رنين و هي مفتار *

تبكي خناس على صخر و حق لها ≠ إذا رالها الدهر، إن الدهر ضرار*

لابد من ميتة في صرفها عبرٌ ≠ و الدهر في صرفه حول و أطوار*

قد كان فيكم أبو عمرٍ وسيودكم ≠ نعم المعمم للراعين نصار *

صُلْبُ النحيزة وهّاب إذا منعوا ≠ و في الحروب جرئي لصدر مهصار(2)

1- علي نجيب عطوي، الخنساء بنت عمرو و شاعرة الرثاء في العصر الجاهلي ، ص 61
2- الديوان ص 47

*أعوّار : وجع في العين و هو مثل الرمد
*إذا خطرت : أي إذا خطرت ذكراه في بالها
*العبدي: الدامعة
*ماعمدت : أي ما عاشت، *مفتار : المقصر
*عبر: واحدتها عبرة : اعتبار *الأطوار : الحالات و التقلبات
*المعمم: المسود
*النحيزة : الطبيعة .المهصار : الذي يهصر الأعناق أي يدقها

الخنساء هنا في هذه الأبيات تحس بوجع في عينها بسبب ذرفها للدموع التي تكاد تكون سيلا كلما خطرت ذكراه في بالها، فهي دائمة الوله عليه كجذع الرجل و المرأة على الولد فهي ترى أنّها مهما بكت على صخرٍ فهي تظل مقصرة في الإيفاء بحقه.أما في رثاء أخيها معاوية تقول:

لعمرُ أبيك لنعم الفتى ≠ تحشّ به الحرب أجدالها *

حديد السنّان دليق اللسان ≠ تجازي المقارض أمثالها *

هممت بنفسي كلّ الهموم ≠ فأولى لنفسي أولى لها *

سأحمل نفس على آلة ≠ فإما عليها و إما لها .

فإن تصبر النفس تُلف السرور≠ و إن تجزع النفس أشقى لها

تُهين النفوس و هون النفوس ≠ يوم الكريهة أبقى لها

و نعلم أن منايا الرجال ≠ بالغة حيث يحلى لها

لتجر المنيةُ بعد الفتى ≠ المغادر بالمحو أذلالها

و رجراجة فوقها بيضها ≠ عليها المضاعفُ أمثالها *

لكر فئة الغيث ذات الصّبير≠ ترمي السحاب و يُرمى لها *(1)

1- الديوان 120-121

*تحش : توقد . الأجدال : أصول الشجر .

*دليق اللسان : طليقه . المقارض : ما يقطع به الثوب

*هممت بنفسي كل الهموم : تهدد كأنها أرادت أن تقتل نفسها .

*رجراجة: الكنية التي تتمخض من كثرتها .بيضها : فوارسها

*لكر فئة :السحاب المرتفع . الصبير : السحاب الأبيض

فالخنساء في هذه الأبيات ترى بأن معاوية نعم الفتى الذي كان يوقد الحرب بالإضافة إلى قولها بأنه طليق اللسان فكثرة حزنها على أخويها جعلها تهدد بقتل نفسها، و هكذا خلدت الخنساء اسمها في الرثاء من خلال روائع شعرها في أخويها صخر و معاوية اللذين ظلت تبكي عليها إلى أن فارقت الحياة.

إذا كانت العاطفة و الخيال هما جوهر الصورة، فإن اللغة لموسيقاها و كلماتها، وصيغها، و تراكيبها، ودلالتها هي الوسيلة التي تبرزهما، بل إن العاطفة تظل مكبوتة، و الخيال يظل تائها حتى تجد اللغة التي تحملها، و قد تنبه النقد الحديث لأهميته اللغة فكانت منطلقا لدراسته، و ميدان فسيحا للناقد الأدبي، متتبعا ما تحمله الكلمات و التراكيب من دلالات يهدف إليها النضال أدبي و بذلك يتم التعرف على النص من داخله، من خلال الدراسة التحليلية للغة النص على المستويات النحوي، و المستوى الدلالي .

و سوف نقف في دراستنا هذه على الملامح العروضية. كالبحور، و الأوزان و القوافي، و غير ذلك مما يدخل تحت ما يسمى بموسيقى الشعر، و على الخصائص الصوتية كالجهر و الهمس و الطول و القصر و الأصوات القوية و الأصوات الضعيفة، و مدى علاقتها .

بالمعنى الملامح النحوية كأنواع الجمل و أنماطها، و ذلك من أجل الكشف عن دور اللغة في بناء الصورة في شعر الرثاء الذي يقف شاعره محملا بهموم الفقد فينعكس على شعره .

I- موسيقى شعر الرثاء :

يرى بعض النقاد و القدماء و المحدثون بأن هناك علاقة وطيدة بين الحالة النفسية للشاعر و بين ما يتخيره من أوزان لشعره، فشعر الرثاء مثلا توحده عاطفة الحزن، و مع هذا تتباين أوزانه، فالعاطفة الحزن ليست على درجة واحدة عند جميع شعراء الرثاء، و ذلك لأن تجاوبهم مع حالة الموت يختلف بإختلاف الفقيد و منزلته، و درجة قرابته من الشاعر نفسه، و بإختلاف مكانته الاجتماعية و السياسية، بل أن شاعر الرثاء قد يختلف في ضبط حدته الموسيقية، و اختيار البحر الشعري من مرثية لأخرى، فالخنساء ظلت لسنين طويلة تحت وطأة الحزن لفقدنها أخويها صخر و معاوية،بعد أن عانت من فقد الأب و الزوج، فكانت لهذه السلسلة الأليمة من الأحزان المتتابعة دور في نماء الحزن داخلها و طغى عليها هذا الإحساس، فلا مصيبة عربيا تضاهي مصيبتها .و لقد بدا هذا الحزن الدائم في بحور عدة تتناسب مع حدة حزنها وفتوره مع انفعالها المتوتر و حزنها الهادئ الرتيب **(1)**

فمع قوة انفعالها و سرعته، اختارت لنظمها البحر السريع لتلتقي سرعة الوزن في هذا البحر مع سرعة نفسها المضطربة فتقول :

إنْ كُنْتِ عنْ وحدكِ لم تقصدي أو كنت في الأسوة لم تعذري*

فإن في العقدة من يلبن غبر السدى في القلص الضمري*

و صاحب قلت له خائف إنك للخيل بمستنظر

1- صلوح بنت مصلح بن سعيد السريمي: الصورة في شعر الرثاء الجاهلي رسالة دكتوراه الفلسفة في اللغة العربية تخصص أدب قديم بجدة سنة 1998ص326

*الأسوة : القدوة بالغير .

*العقدة و يلبن : موضعان .عبر: الكثير من كل شيء . السترى : السير ليلا .القلص : النياق

إنك داع بكبير إذا وافيت أعلى مرقب فانظر

فأنسن من ساعة فارسا يخب أدنى بقع المنظر *

فأولج الصوط على حوش أجرد مثل الصدع الأعفر *

تنبطه الساق بشد كما مال هجير الرجل الأعسر *(1)

فالخنساء في هذه الأبيات تصف فرس أخيها صخر فوصفته بمنتفح الجنبين، فهو ليس بالعظيم و لا، و كان أعفرًا .

فشدة حزن الخنساء على موت أخويها صخر و معاوية جعل عاطفتها قوية هائجة نتيجة ألمها الشديد ميزها تدفق انفعالها، فاستوعبت بحر الرمل حدة هذا الانفعال فتقول :

لا تخل أنزى لقيت رواحًا بعد صخر حتى أثبن نواحا

من ضميري بلوعة الحزن حتى نكأ الحزن في فؤادي فقاحا.

لا تخلي أنّي نسيت ولابل فؤادي و لو شربت القراحا (2)

تعني الخنساء في أبياتها هده أنها لم تمسى صخرًا و لن تجد السرور بعده فستظل جراحها تنكأ ولو شربت الماء العذب.

-و لما استكانت عاطفتها و هدأت حدة انفعالاتها و ألامها كان لها في البحور الطويلة سعة تستوعب تأملاتها الحزينة الثقيلة تقول في أبيات لها نظمتها على البحر البسيط:

---

* البقع : القطعة من الأرض – المنظر : أشراف الأرض و ما ارتفع منها .

* الحوشب : الفرس المنتفع الجنبين . الصدع : المتوسط بين العظيم و الصغير .الأغفر : ما يعلو بياضه حمرا

* تنبطه: تستخرج جريه إذا حركته . الهجير : الحوض.

1- الديوان .ص 53

2- المصدر نفسه.ص 26

يا عيني جودي بدمع منك مسكوب كلؤلؤ جال في الأسماط مثقوب

إني تذكرته و الليل معتكر ففي فؤادي صدع غير مشعوب

نعم الفتى كان للأضياف إذ نزلوا و سائل حل بعد النوم محروب**(1)**

هنا تأمر عينها بأن تجودا عليها بالدموع . فتذكرها لأخيها صخرٍ جعل جرح قلبها لم يلتئم .

بالإضافة إلى استعمالها للبحر الطويل في قولها :

أعين ألا فانكي لصخرٍ بدرة إذا الخيل من طول الوجيف اقشعرت

إذا زجروها في الصريخ و طابقت طباق كلابا في الهراش و هرت

شددت عصاب الحرب إذ هي مانع فلقت برجليها مريًا فدرت **(2)**

تأمر عينها هنا بالبكاء الغزير على أخيها صخر

كما نظمت على وزن البحر الكامل أبيات تقول في أحداها :

طرق النعي على صفينة* بالخبر المعمم من بني عمرو**(3)**

-و في الجدول نلاحظ اختلاف درجة العاطفة بين القوة الهدوء الآتي فقد كانت عاملا لتنوع البحور . فالبحر الطويل بإيقاعه الهادئ البكي يلائم العاطفة المعتدلة الممتزجة بقدر من التفكير و الأمل سواء كانت حزنا هادئا لا صرخ فيه أم سرورا هادئا لا صخب فيه في حين ينسجم البحر الكامل مع العاطفة القوية النشاط و الحركة أما البحور القصيرة فتلائم لحظات الانفعال القوي قد تتماشى مع سرعة التنفس و زيادة نبضات القلب و يكون نظمها في الغالب في صورة مقطوعات

1- المصدر السابق ص 14
2- المصدر نفسه . ص 16
3- المصدر نفسه.ص 56
* صفينة : قرية لبني سليم كثيرة النخل

لا تزيد أبياتها عن عشرة. وهذا ما يفسر كثرة المقطوعات في شعر الرثاء هجامه و في شعر المرأة لخاصة لأنها تجاري بها سرعة انفعالها و اضطراب أنفاسها أما في حالة استكانة النفس باليأس و الهم المستمر .**(1)**

فتمثل إلى البحور الطويلة، التي تساعد على استعاب التأمل و التفكير و القدرة على الاسترسال فيها

و هذا ما نجده أكثر وضوحا عند الرجل **(2)**

الشاعر / البحر	الخنساء	
	القوة	الضعف
الطويل		X
البسيط		X
الكامل		X
الوافر		X
السريع	X	
الرمل	X	
الخفيف	X	

1- صلوح بنت مصلح بن سعيد السريمي: الصورة في شعر الرثاء الجاهلي رسالة دكتوراه الفلسفة في اللغة العربية تخصص ص265

2- المرجع نفسه ص280

فالعاطفة هنا كانت سببا في تعدد البحور، فهي تتراوح و تتباين بين القوة و الضعف عند الشعراء عامة و عند الشاعر الواحد بخاصة، و هذه الواقع السيكولوجي هو الذي، أدى إلى تنوع البحور، و تعددها في الغرض الواحد.

1-1/ القافية:

يرى ابن رشيق القافية شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر و لقد توقف العلماء طويلا عند القافية، و تعريفها، و تحديد حروفها، و القافية في الشعر القديم تعد مظهرا دالا على نفسية الشاعر، فتكرار ها الدائم، و المتتابع في جميع أبيات القصيدة له دور كبير في ربط أبيات القصيدة بعضها ببعض .

كما أنها تلتحم مع المعنى العام للقصيدة، و توحي بجوها، سواء أكانت قافية مطلقة تعج بالحركة، و الحيوية، و ينطلق الصوت من خلالها واضح المعالم، أم قافية ساكنة مقيدة ، تنبعث الهدوء و السكون، فتضيع معالم الأصوات فيها .

فالقافية المطلقة تمثل السواد الأعظم في الشعر الجاهلي عامة تعكس بحركتها مابين الفتح و الضم و الكسر حركة العربي الدائبة وانتقاله المستمر عبد الصحراء، لذلك بلغت 90% من الشعر الجاهلي، بينما ظلت القافية المقيدة تمثل 10% منه **(1)**

ففي شعر الرثاء يعيش الشاعر وسط مشاعر مضطربة و أحاسيس متأججة بالألم و الحزن

1- صلوح بنت مصلح بن سعيد السريمي : الصورة في شعر الرثاء الجاهلي ص283

فالشاعر في حالة حزنه هذه، يحتاج لرفع صوته للإعلان عن مصابه و حزن من جهة، و لتفريج شحنة الحزن، و الألم من جهة أخرى، فيلجأ إلى القافية المتحركة لتعكس حركة الأنفاس المضطربة، فتتنوع مابين الفتح، والضم و الكسر .

و بأجراء إحصاء على مائتي قصيدة في شعر الرثاء تبين انتشار القافية المطلقة بصورة كبيرة، فبلغت نسبتها 93.5%، بينما كانت نسبة القافية المقيدة 6.5% تمثلت في ثلاث عشرة قصيدة فقط.

ففي ديوان الخنساء، نلاحظ وجود ثلاث قصائد فقط مقيدة لأنها لا تتناسب مع عاطفة الحزن، والألم، و لا تقوى على التعبير الدقيق عن المصاب، و لا تساعد على تفريغ شحنة الحزن و الألم بهدف التفكر و التأمل . **(1)**

و تمثل القافية المطلقة غير المقيدة أي أنها تنتهي بمتحرك أكثر من خمسين عملا للشاعرة، فهي توافق حالة الخنساء التي أطلقت أناتها الحزينة، المتواترة، بعد مرة **(2)** و المثال على ذلك قولها في قصيدتها قذي بعيننيك التي تصف فيها بكائها المتواصل كلما خطرت ذكرى صخر في بالها، فأصابها عوّارٌ * بالعين من كثرة البكاء، فتقول :

قُذّي بعينك أم بالعين عوّار أم ذرفت إذ خلت من أهلها الدارُ

كأنّ عيني لذكراه إذا حظرت فيض يسيل على الخدين مدرار

تتمثل القافية هنا في المقطع الصوتي الأخير من البيت و هو "دارُ" "0/0 " **(3)**

1- المرجع السابق ص 265

2- بكاي أخذاري، تحليل الخطاب الشعري، قراءة أسلوبية في قصيدة "قذي بعبنيك "للخنساء، 2007 د ط، ص 46

*عوّار : وجع في العين، و هو مثل الرمد

3- بكاي أخذاري: تحليل الخطاب الشعري، ص 46

أما القافية المقيدة، فنجد قول امرئ القيس الذي عمد إلى التدبر و التفكير في حياته السابقة، ووجد أن مفتاح شخصيته يتمثل في شجاعته، و كرمه، و شعره، فيقول :

رُبَّ طعنَةٍ مُثْعَنْجِرَةْ

وجَفْنَةٍ مُتَحيَّرةْ

و قصيدة مُحَبّرةْ

تَبْقَى غَدَا بأنْقَرَةْ . **(1)**

بالإضافة إلى قول الخنساء آمرة نفسها بالبكاء و الصياح على أخيها لما سمعت بوفاته :

يا أُمَّ عمرو ألا تبكين مُعْوِلَةً على أخيك و قد أعلى به الناعي *

قد كان سيّدنا الدّاعي عشيرته لا تبعدنّ، فنعم السيّد الداعي **(2)**

2-1 الروي :

يعكس الروي باتجاه و موقعه في أواخر الأبيات، صدى صوته على القصيدة برمّتها، فيمنحها اسمه حيث تنتسب إليه، فيقال قصيدة دانية، أو لامية أو دالية و يظل هذا الرّوي بتكراره العمودي هو الامتداد الطولي للقصيدة و الممثل لوحدتها، و الرابط بين أبياتها فيطرح على القصيدة صوته، و ذاته و يمنحها بعض صفاته من قوة أو ضعف، فيصبح هذا الصوت بصفاته و كأن مرآة تنعكس عليها عواطف الشاعر و أحاسيسه و مشاعره، أو بصمة تميز صاحبها و تعكس حالته ؛ لذا كان في معرفة هذا الصوت كشف لنفسية صاحبه،و في شعر الرثاء تتأجج العواطف و تلتهب المشاعر و تهتز الأحاسيس بالفقد لذاته، أو لعزيز لديه.

1- الديوان ص 349

* مُعْولةً: صائحة .

2- الديوان ص 95

فتنعكس هذه الأحاسيس القلقة على لغته، و الروي جزء من هذه اللغة، بل هو عنوان قصيدته، و الصوت المتكرر فيها .

و قد أجريت دراسة على مدتي قصيدة من شعر الرثاء للرجال و النساء على السواء، فكان أكثر الحروف رويا هو حرف «الراء» 42 مرة، و يليه حرف «اللاّم » 33 مرة، ثم حرف «الباء»25مرة ثم يليه حرف «الدال» 24 مرة، ثم حرف «الميم» 23 مرة (1)

و إذا نظرنا إلى طبيعة هذه الأصوات التي كثُر مجيؤُها رويا نجد أنها جميعا من الأصوات المجهورة، التي تساعد بوضوحها و قوتها، على رفع الصوت في شعر الرثاء، لإعلان المُصاب، و لتفريغ شحنة الحزن و الألم، وكما أن حالة شاعر الرثاء القلقة لا تتناسب معها الهمس الهادئ، و إنما الجهر العالي، و هذا ما تمثله هذه الأصوات (الرّاء، النون، اللام و الياء)، فشاعر الرثاء يحتاج إلى هذه الأصوات في تأبينه و تهديده ووعيده لما فيها من سهولة و طلاقة كما أن هذه الحروف بخفتها و سلاستها، سهل النطق بها في ساعة الانفعال و الارتباك و الاضطراب، كما أن هذه الحروف صفات أخرى تميزها عن بعضها، فحرف "الراء" هو أكثر الحروف ظهورا في روي شعر الرثاء، بالإضافة إلى أنه صوت مجهور، فهو حرف متكرر، و لعل اتحاد اللسان و تذبذب الوترين عند النطق به، يتناسب مع رعشة الحزن و الألم المتعششة في النفس، لذا كان أكثر ظهورا عند المرأة(2)

و هذا يظهر في قصيدة الخنساء "قُذّي بعينيك"، فكان حرف "الراء" رويا لها، وقد أُشبع "بواو "

1- صلوح بنت مصلح بن سعيد السريمي : الصورة في شعر الرثاء الجاهلي ص 268
2- المرجع نفسه ص 270

ليمتد الصوت، و بالتالي مد الأنين و التأوّه، و هذا كله يوافق حالة الشاعرة الكئيبة المتحفزة للظهور و التأثير، ولقد استعمال هذا الحرف رويا في الشعر العربي عامة و عند الخنساء خاصة**(1)**.

فالخنساء لها ستة و عشرون عملا على روي الرّاء، و عدد أبيات هذه الأعمال حوالي 263 بيتا ، و هذا دليل على أن حرف الراء له مكانة عظيمة في الشعر القديم، فهذا بصفاته في قصيدتها الفجيعة **"قُضي بعينيك"** يجعل المصيب أكثر ظهورا و أبلغ تأثيرا و أشد تكرار فتقول :

بكي خناس فما تنفك ما عمرت لها عليه رنين و هي مفتار *

تبكي خناس على صخر و حق لها إذا رالها الدهر، إن الدهر ضرار

لابد من ميتة في صرفها عبرٌ و الدهر في صرفه حول و أطوار*

قد كان فيكم أبو عمرٍ وسيودكم نعم المعمم للراعين نصار *(2)

فالخنساء هنا ترى أنها مهما تبكي على صخر فهي مقصرة في الإيفاء بحقه، مهما طال الزمن. أما حرف الدال و الياء فهما من الأصوات الغنية بعنصر الوضوح السمعي، بالإضافة إلى أنها من الأصوات الشديدة الانفجارية، و لعل هذه الشدة توازي ما تعانيه الشاعرة من شدة المصاب بقولها :

1- بكاي أخذاري، تحليل الخطاب الشعري، قراءة أسلوبية في قصيدة "قذي بعبنيك "للخنساء ، ص 76
2- الديوان ص 47
* المفتار : المقصر
*الأطوار : هي الحالات و التقلبات .
*المعمم: المسود

يا ابن الشريد و خير قيس كلها خلّفتني في حسرة و تبلّد *(1).

فهي تنادي صخرا و تقول بأنه خير الناس في قبيلتها،تركها وحيدة في حسرة و تحير أما في الثاني تقول :

ياعين جودي بدمع منك مسكوب كلؤلؤ جال في الأسماط مثقوب *(2)

3-1 التكرار :

يرتبط التكرار بالشعر ارتباط وثيقا، هو سمة فيه خاصة ما كان منه موزونا، و ما الوزن في الحقيقة إلا تكرار لتفعيلة ما، يتلبس بها الكلام، فأي تكرار في صوت أو كلمة أو جملة، أو صيغة معينة له فائدة في شد انتباه القارئ و التأثير عليه، فالتكرار يظل دائرًا في فلك النبط النفسي للشاعر .فما من أمر يكون مصدره لذة أو ألم للنفس إلا علق بذهن الإنسان و ارتسم على محياه ولهج به لسانه سرّا أو علنا . هذا بالنسبة للإنسان العادي، أما الشاعر فإلحاحه على تكرار لفظة أو عبارة أو جملة في النص يريد بها شد انتباه القارئ للكشف عن الملامح الرئيسية للتجربة الشعورية، و محاولة فك رموزها، فالتكرار من الظواهر الواضحة في شعر الرثاء يكشف به شاعره عن المعاني المتغلغلة في نفسه و الممتلئة بها حزنا أو ألما فيعمد إليه لتفريغ شحنة الألم و الحزن المطبقة على نفسه، فشدة الحزن تفقد الإنسان اتزانه، فيفلت من القدرة على التحكم في نطقه لدى توالي التكرار في شعر الرثاء وتنوع يشمل تكرير الحركة و الكلمة و الجملة والمعنى **(3)**.

1- المصدر السابق ص 42

*التبلد: التحير، * الأسماط: هو خيط تنظم فيه الخرز و اللآلئ

2- المصدر نفسه ص 14

3- بكاي أخذاري، تحليل الخطاب الشعري ص59-60

1-3-1/ تكرار الحركة :

كان الحزن دافعا لظهور حركة الكسر بوضوح في شعر الرثاء، فعكست هذه الحركة المكسورة ما تحمله النفس من خضوع للحزن و الألم كما يكشف عن نبرة أسى، و لقد كان الروي هو الأداة الرابطة لبناء القصيدة و هو أكثر ما يشير إلى وضوح ظاهرة الكسر في المرثية حيث إن نسبة الروي المكسور بلغت سبعة و أربعون بالمئة كما أن حركة الكسر لم تقف عند حدّ الروي فقط بل تعدته لغالب كلمات البيت **(1)**.

فكلما خفت حدة الانفعال بالبوح، خف الإحساس بالحزن و الانكسار، فخف تكرار الكسر في باقي المرثية و مثال على ذلك قول الخنساء :

لهفي على صخرٍ فإني أرى له نوافل من معروفه قد تولت

لهفي على صخرٍ لقد كان عصمة لمولاه إن نعل بمولاه زلت **(2)**.

أما "الفتحة " فقد كانت ثاني الحركات بروزا في شعر الرثاء، ساعد مدّ الصوت فيها، على تفريغ

1- صلوح بنت مصلح بن سعيد السريمي : الصورة في شعر الرثاء الجاهلي ص283
2-ديوان الخنساء ص 18

شحنة الانفعال و الحزن، فتخرج من خلال القصيدة صرخات متلاحقة تؤول من خلالها الفتحة إلى فتحة طويلة أما المرأة فقد كان ميلها إلى البكاء و العويل و بوحها بالحزن سبيلا مباشرا لتخفيف حدة الانفعال ؛ لذلك قلت ظاهرة تكرار الفتحة في مراثيها لوجود بديل يتيح لها التنفيس عن حزنها **(1)** و من ذلك قول الخنساء في أخيها صخر :

لا تخل أنّني لقيت رواحا بعد صخر حتى أثبن نواحا

من ضميري بلوعة الحزن حتى نكأ الحزن في فؤادي فقاحا

لا تخلني أنّي نسيت ولا بل فؤادي ة لو شربت القراحا **(2)**

فالخنساء لن تجد السرور و الهناء بعيدا عن صخر، كيف لا و هي متعلقة به كثيرًا .

1- صلوح بنت مصلح بن سعيد السريمي : الصورة في شعر الرثاء الجاهلي ص 285
2- ديوان الخنساء ص 26

1-3-2/تكرار الصياغة و المعنى :

يرتكز شعر الخنساء في معناه على دعامتين أساسيتين هما: التعبير عن عاطفة الحزن من ناحية و الإشادة بمكانة المرسل و خصاله من ناحية أخرى، لذلك كان لهما الدور الواضح في ظهور التكرار في الصيغ و المعاني، فظهرت هذه الصياغات البكائية بشكل واضح في شعر الرجل و المرأة حتى أنها بلغت 365 صياغة في مائتي قصيدة و مقطوعة يعبر كل منها عن حالة الحزن و الألم.

أما عند المرأة فقد ظهرت هذه الصياغات في شعرها بكثرة فنجدها تكررت في شعر الخنساء حتى بلغت 321 صياغة بينما بلغت عند الرجل 44 صياغة و هذا راجع ربما إلى قوته و صلابته، التي حالت أحيانا دون إظهار حزنه، فضعف المرأة كان عاملا مساعدا على تكرار هذه الصياغات **(1)** فتقول الخنساء :

لهفي على صخرٍ فإني أرى له نوافل من معروفه قد تولت

لهفي على صخرٍ لقد كان عصمة لمولاه إن نعل بمولاه زلت **(2)**.

ومن تعبيرات الحزن المتكررة صياغات التفجع و التلهف التي كانت أليق بالمرأة من الرجل فتقول:

وابكي أخاك و لا تنسي شمائله وابكي أخاك شجاعا غير خوّار

وابكي أخاك لأيتام و أرملة وابكي أخاك لحق الضيف و الجار**(3)**.

1- صلوح بنت مصلح بن سعيد السريمي : الصورة في شعر الرثاء الجاهلي ص 288-289
2- ديوان الخنساء ص 18
3- المصدر نفسه ص75

3-3-1/ التضاد :

ارتكز شعر الرثاء، على ثنائية الحياة و الموت حيث ظلت بصخبها و ضجيجها، و الموت بهدوئه و سكونه قطبين يدور حولهما شعر الرثاء لدى دار أغلبه حول ما يبقى و ما لا يبقى ؛ ما يبقى من قيم و أخلاق و صفات و أم المُرثي عليها و ما لا يبقى من جسد دبّ عليه الفناء و لحق به البلاء، و لهذا ظلت دلالات الحياة و الموت مؤشرا واضحا في قصيدة الرثاء متمثلا في التضاد حتى أنه أصبح محورا تدور حوله المرثية **(1)** فتقول الخنساء في أحد أبياتها :

إذا لاقى المنايا لا يبالي أفي سُير أتاه أم بعسير **(2)**.

و هما اللفظين المتضادين سير ≠ عسير

و تقول أيضا :

و الإنس تبكي و لها و الجن ستعد من سمر **(3)**.

و تقول كذلك:

و من لكربة عانٍ في الوثاق و من يعطي الجزيل على عسير و ميسور **(4)**

و تقول أيضا :

و ألقح القوم حربا ليس يُلقحها إلا المساعير أبناء المساعير **(5)**

1- صلوح بنت مصلح بن سعيد السريمي : الصورة في شعر الرثاء الجاهلي ص 292
2- الديوان ص 72
3- المصدر نفسه ص 63
4- المصدر نفسه ص 65
5- المصدر نفسه ص66

و تقول أيضا :

ترتع ما رتعت، حتى إذا اذكرن فإنما هي إقبال و إدبار(1)

II- التركيب النحوية و دلالتها في شعر الرثاء :

تشكل التراكيب النحوية دورًا أساسيا في بناء اللغة، فالجملة هي أقل وحدة تحمل معنا مستقلا إلى حد ما . و لهدا فالتراكيب بصورها أشكالها تحمل المعاني و تقدم الدلالات التي يحرص المتكلم أن ينقلها إلى مستمعه . و في شعر الرثاء نلخص بروز سمات نحوية معينة يتسم بها النص الرثائي و تتجلى لنا هذه السمات بوضوح من خلال تحليل النص تحليلا لغويا في ضوء توظيف النحو العربي لتحقيق فصاحة الكلام و بلاغته لتوضيح المعنى و إيحاءاته و من الخصائص النحوية التي يقوم عليها التحليل نجد:

2-1 / الجمل الفعلية : و هي نمط من أنماط الجملة العربية، و يعتمد النص الرثائي على الجملة الفعلية اعتمادا واضحا، و لعل هذا الاعتماد يفضي بالنص إلى نوع من الحركة و التجدد و الاستمرار تمنحها إياه الأفعال بماضيها و مضارعها فتتقابل هذه الحركة مع ما تمر به نفس الشاعر الحزينة من اضطراب و انفعال، و لعل شاعر الرثاء أراد بث الحركة داخل النص ليبعد سكون الموت المحيط به هذا من ناحيته و ليصور طغيان الحزن و تزايده داخل نفسه من ناحية أخرى.

كما أن اعتماد النص الرثائي على الجملة الفعلية مع تغير زمانها بعكس حالة التغير وعدم الثبات التي يعيشها شاعر الرثاء سبب التغيرات الطارئة لفعل الموت فيعيش لحظتها . الماضي

1- المصدر السابق ص 48

و ذكرياته و الحاضر و فجيعته و المستقبل و امتداد الحزن فيه (1)

و تعتبر المرأة أكثر ميولا للجمل الفعلية من الرجل لأنها أقوى عاطفة منه في حالة الحزن و أكثر منه ميلا إلى السرد و تفصيل الأحداث و تعاقبها و كيفية و قوعها بينما الرجل نراه أكثر ميلا إلى ذكر الحقائق الثابتة و النتائج النهائية.

فالخنساء جاءت جل قصائدها تتضمن جملا فعلية و هذا إن دل على شيء و إنما يدل على شدة حزنها و ألمها و تجددهم باستمرار و هذه بعض النماذج من قصائدها.

أبكي على هالك أودى فأورثني عند التفرق حزنا حره باق .

تبكي عليك بكا ثكلا مفجعة ما إن يجف لها من ذكره ماقي .

اذهب فلا يبعدنك الله من رجل لاقي الذي كل حي بعده لاقي 2

تقول أيضا :

تذكرت صخرًا إذا تغنت حمامة هتُوفًا على غصن من الأيك تسجع

فظلت أبكي لها بدمع حزينة و قلبي مما ذكرتني موجع 3

كما استعملت الجملة الاسمية التي إن دلت على الثبات فإنما تدل على ثبات صفات الشجاعة و المروءة في المرثي (صخر و معاوية) . حيث تقول :

صُلْبُ النحيزة وهّاب إذا منعوا و في الحروب جرئي لصدر مهصار**4**

1- صلوح بنت مصلح بن سعيد السريمي : الصورة في شعر الرثاء الجاهلي ص 295-296
2- الديوان ص 106
3- المصدر نفسه ص 96
4- المصدر نفسه ص 47

تقول أيضا :

حمال ألوية هباط أوية شهاد أندية الحبيش جرار

دخار راعية ملجاء طاعية فكال عانية للعظم جبار 1

2-2/ النداء :

من الأساليب النحوية التي كثر دورانها في اللغة العربية عامة و شعر خاصة النداء و لعل ما فيه من مد في الصوت من خلال المقطع المتوسط و المفتوح (آ) و (ي) و ما يحمله هذا المد من تفريغ لشحنة الحزن و الألم المتأججة في النفس كان سبب وراء ظهوره في الشعر الرثاء، بالإضافة إلى ما يقوم به النداء من وظيفة دلالية و هي التفاعل بين المنادي و المنادى عليه تفاعلا يبعث على إيجاد حركة يكسر بها مشاعره سكون الموت و خموده و وحشة الحزن و ألمه . فوجد الشاعر في النداء سبيلا إلى إيصال رسالة مقعمة بالألم مشبعة بالإحساس بالضعف فأداة النداء "يا" تعطي مجالا لرفع الصوت و **التقيس** عن الحزن بمدها كما توحي بالتباعد بين المنادي و المنادى عليه . حيث تقول الخنساء :

يا صخرُ كنت لنا عيثا نعيش به لو أمهلتك ملمات المقادير

يا فارس الخيل إن شدوا فلم يهنوا و فارس القوم إنهموا بتقصير

يا لهف نفسي على صخرٍ إذا ركبت خيلٌ بخيلٍ كأمثال اليعافير 2

تقول أيضا :

أيا عينيا و يحكما استهلا بدمع غير منزوروعلا 3

1- المصدر نفسه ص 49
2- المصدر نفسه ص 65-66
3- المصدر نفسه ص 100

ففي النداء صورة ذهول تكشف عن قلب المكروه أثقلته وطأة الحزن فتوارت صورة زويته حدود الأشياء فنادى من لا ينادي و سأل من لا يجيب نادى الفقيد و ألح في بدائه و نادى القبر و دعى له بالسقيا .

2-3/ أسلوب الإستفهام :

افتقد الإنسان في العصر الجاهلي الرؤية اليقينية للحياة بعد الموت و ظل تفكيره موزعا بين الإيمان بهده الحياة و التصديق بها و الاستعداد لها و بين الكفر بها . قال تعالى : « آ إذا متنا و كنا ترابا و عظاما . أإنّا لمبعوثون »1 لذلك كثرت التساؤلات في الشعر الجاهل بغية الوصول للزاوية اليقينية عن الموت و عن الحياة بعده فكان الاستفهام وجود بارز في شعر الرثاء . ليكشف عن حالة الحيرة و القلق و التوتر التي يعيشها شاعره فالاستفهام يتولد في شعر الرثاء من خلال تأملات الحياة و الموت و تقلبات الحياة مما يكشف عن عقلية متشبعة بفلسفة الحياة و تجارتها و الصورة النابعة من تلك التأملات لابد أن تأخذ نصيبها من هذه الحالة النفسية فتكتسي بشيء من الهدوء. 2

و تقول الخنساء مستعملة هذا الأسلوب :

ألا ما لعينك أم مالها لقد أخظل الدمع سر بالها 3

تقول أيضا :

و قلنا ألا من شفاء يناله و قد مُنع الشفاء من هو نائله 4

1- الصافات /16

2- صلوح بنت مصلح بن سعيد السريمي : الصورة في شعر الرثاء الجاهلي ص 308

3-الديوان ص 120

4- المصدر نفسه ص 124

و تقول أيضا :

بني سليم **!** ألا تكون فارسكم خل عليكم أمورًا ذات أمراس 1

4-2 / أسلوب الشرط:

من الأساليب النحوية التي برزت في الشعر الرثاء كذلك أسلوب الشرط و قد كشف استخدامه عن حالة القلق و التوتر التي يعيشها صاحبه . بعد صدمة الإحساس بالموت و الفقد خاصة و أنه يفتقد إلى الرؤيا اليقينية الواضحة فوقع في الاضطراب و الشك مما جعله يميل إلى تأكيد كلامه عن طريق الشرط الذي أتاح له الربط بين الأسباب و المسببات و المقدمات و النتائج و قد يدفع الحزن صاحب الرثاء إلى حذف فعل الشرط تارة و جوابه تارة أخرى لأن تدفق مشاعره و اضطرابها قد حلت دون تمام الجملة **2** حيث تقول الخنساء :

إن يك هذا الدهر أودى به و صار مسحًا لمجاري القطار

و كل حي صائر للبلى و كل حبل مرة لا ثار **3**

و لقد أدى الحذف الأسلوب الشرط إذا خلخلت الصورة و إرباكها حيث أن تفريغها من فعل الشرط تارة و هي جوابه تارة أخرى أعطى الصورة امتدادا و متعة يتنقل الذهن فيها أمّا المرأة الراثية فقد كانت أشد اضطراب و أكثر قلقا و لعل إحساسها الدعاية و الحماية وراء زيادة هذا القلق فكثر استخدامها لأسلوب الشرط حتى بلغت 89 أسلوبا في حين بلغت عند الرجل 52 أسلوبا .

1- المصدر السابق ص83
2- صلوح بنت مصلح بن سعيد السريمي : الصورة في شعر الرثاء الجاهلي ص 312
3- الديوان ص 70

كما كثر الحذف عندها من دلك قول الخنساء و في رثاء أخيها صخر :

يا صخر من لطراد الخيل إذا وزعت و للمطايا إدا يبشرون بالكور

يا صخرُ كنت لنا عيثا نعيش به لو أمهلتك ملمات المقادير

يا فارس الخيل إن شدوا فلم يهنوا و فارس القوم إنهموا بتقصير

يا لهف نفسي على صخرٍ إذا ركبت خيلٌ بخيلٍ كأمثال اليعافير *1

و لقد منع تفريغ الصورة من أسلوب الشرط و تعليقه بعدم ذكره يمنح الجواب شمولا و تنوعا ينتقل الذهن و يعمل فيهما و هذا ما لا نجده عند تحديد جواب الشرط و تعينه . فتقديه الجواب في البيت الأول مثلا : إذا يبشرون بالكور فمن للمطايا يا صخر . و في البيت الثاني . لو أمهلتك ملمات المقادير لكنت لنا غيثا.

1- المصدر السابق ص 65-66

* اليعافير : الظبي .

التشبيه :

تعريفه:

لغة : التمثيل فهو مشتق من مادة شبه و الشبه و الشبيه المثل و الجمل أشباه، تقول أشبه الشيء ، بمعنى ماثله **(1)**

اصطلاحا : يدل التشبيه في اصطلاحات البلاغيين على مشاركة أمر لأمر في صفة ما من الصفات . فهو محاولة للربط بين شيئين يجمع بينهما صفات مشتركة، فالتشبيه صورة فنية قائمة على الربط و المقارنة بين الشيئين تجمعهما صفة أو مجموعة من الصفات المشتركة و الهدف من ذلك المبالغة و الطرافة و إضفاء صفة الجمال على التعبير و تكون الإجادة في التشبيه في قوة المشابهة بين المشبه و المشبه به و لكن قد يكزن التشبيه طريفا كلما كثرت جهات الاختلاف بينهما و كلها كان المشبهان بعدين من الجهة الواقعية و العقلية ذلك ليكون مجال التخيل أكثر اتساعا و طريقة التصوير أكثر من البلاغة و تشويقا**(2)** تقول الخنساء :

كأن عيني لذاكره إذا خطرت فيضا يسيل على الخدين مدرار **(3)**

تقول أيضا :

و إن صخرا لتأتم الهداه به كأنه علم في رأسه نار **(4)**

1- ابن منظور : لسان العرب مادة شبه ص09
2-.بن عيسى طاهر : البلاغة العربية (مقدمات تطبيقات) دار الكتاب الجديد المتحدة، ط 1 د ت ص 216
3- الديوان ص 47
4- الديوان ص49

تقول أيضا :

كأن القتود إذا شدّها على ذي وسوم تباري صوارا *(1)

تقول أيضا :

كأن ابن عمتكم حقًا وضيفكم فيكم فلم تدفعوا عنه بإغفار (2)

و تقول :

كأنهم يوم راموهم بأجمعهم راموا الشكيمة من ذي لبدة ضار* (3)

و لو نظرنا إلى شعرها في أخويها صخر و معاوية بصفة عامة لوجدنا أن جل شعرها احتوى على تشبيه و هدا الدليل على تعلقها بأخويها و بهذا اختارت الوصف للتعبير عن ذلك التعلق . فشبهتهم بعدة تشبيهات تنم عن مكانة العالية في قلبها و في القبيلة ككل .

1- المصدر السابق ص55
* القتود : الرحل .
2- المصدر نفسه ص59
3- ا المصدر نفسه ص60
*الشكيمة : المضي على العزائم مع شدة

الاستعارة :

لغة :الاستعارة في اللغة العارية و هي ما يتداوله الناس بينهم أو هي نقل الشيء من شخص إلى آخر استعار الشيء طلب منه أن يعيره إياه **(1)** .

اصطلاحا : الاستعارة هي نقل اللفظ من معناه الذي عرف به و وضعه إلى معنى أخر لم يعرفه به من قبل لوجود علاقة تشبيه بين المعنى الحقيقي و المعنى المجازي و وجود قرينة تمنع من إيراد المعنى الحقيقي توجب ليراد المعنى المجازي، فهي تجمع بين المجاز و التشبيه و سميت استعارة لأننا في هذا الأسلوب الجميل نستعير صفة من شيء ما قد عرف بها و اشتهر إلى شيء أخر لم يعرف في الدلالة على الصفة من التشبيه، ففي التشبيه مثلا تقول : "فلان يتحدث بكلام كالعسل " فأوجدنا فاصلا بين المشبه و المشبه به أي أنهما شيئان مختلفان أما في الاستعارة فتقول : " فلان يتحدث عسلاً" . فكأن المشبه (الكلام) و المشبه به (العسل) اتحدا وأصبحا شيئا واحدا و هذا ما جعل الاستعارة أكثر بالغة من التشبيه**(2)** .

تقول الخنساء :

عين فابكي لي على صخرٍ إذا علت الشفرة أثباج الجزر * **(3)**

تشبه الخنساء هنا العين و كأنها إنسان يسمع و يطبق فتأمرها بالبكاء حيث حذفت المشبه به (الأنسان) و أبقت على لازمة من لوازمه (فابكي) .على سبيل الاستعارة المكنية تقول أيضا:

1- ابن منظور لسان العرب (عَوَرَ).ص456
2-.بن عيسى طاهر : البلاغة العربية (مقدمات تطبيقات) دار الكتاب الجديد المتحدة، ط 1 ص253-254
3- الديوان ص61
*الثتبج : مابين الكاهل إلى الطهر

و فارس الخيل وافته منيته ففي فؤادي صدع غير مجبور(1) .

تصف الخنساء هنا قلبها و كأنها أرض أصابها الصدع . حذفت المشبه به (الأرض) و أبقت على لازمه من لوازمه (الصدع) على سبيل الاستعارة المكنية .

تقول أيضا :

تعرقني الدهر نهسا و حزا و أوجعني الدهر قرعا و غمزًا *(2) .

شبهت الدهر بالوحش الذي نهش اللحم و ترك العظم حذفت المشبه به (الوحش) و أبقت على ما يدل عليه (تعرقني) على سبيل المكنية .

تقول أيضا :

ما للمنايا تغادينا و تطرقنا كأن أبدا نحتز بالفاس

تغدو علينا فتأبى أن تزايلنا للخير فالخير منا رهْنُ أمارس (3)

هنا شبهت الخنساء المنايا كأنها إنسان يغدو فحذفت المشبه به (الإنسان) و أبقت على ما يدل عليه (الغدو) على سبيل الاستعارة المكنية .

1- الديوان ص 67
2- ا المصدر نفسه ص 81
*تعرفني : أخذ ما على العظم من لحم
3- الديوان ص 83

الكناية :

لغة : هي مصدر كالهداية و العناية و هي تتكلم بالشيء و تريد به غيره و تكنى، تستر و منه الكنية و هي التي تقوم مقام الاسم أو اللقب**(1)** .كما قال الشاعر :

أكنيه حين أناديه لأكرمه و لا ألقيه و السوأة اللقب

اصطلاحا : عرفها عبد القاهر الجرجاني : أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة و لكن يجيئ إلى معنى هو تاليه و ردفه في الوجود . فيؤمن به إليه و يجعله دليله عليه **(2)** .

و مثالنا على ذلك قولتا : "فلان كثير الرماد" و المقصود بها صفة الكرم لأن الرماد ينتج عن اشتعال النار . و اشتعال النار يدل على كثرة الطبخ مما يعني كثرة الضيوف الذين يأتون إلى بيته . و لنا في شعر الخنساء نصيب من هذا :

كنا كأنجم ليل وسطها قمر يجلوا الدجى فهوى من بيننا القمر

يا صخر ما كنت في قوم أسّربهم إلاّ و أنك بين القوم مشتهر **(3)**

أرادت الخنساء هنا بالقمر أخاها صخرًا كناية عن الجمال تقول أيضا :

أسدان مُحْمَرًّا المخالب نجدة بحران في الزمن الغضون الأنمر*

قمران في النادي رفيعا محتدٍ في المجر فرغًا سُؤْدَدَ متخير **(4)**

1- ابن منظور لسان العرب مادة (كُنيَ)ص162
2- عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ص 66
3- الديوان ص 73
*الأنمر: الشبه بالنمر .
4- الديوان ص 79

فكلمة (أسدان) كناية عن الشجاعة و (قمران) كناية عن الرفعة و السؤْددْ .

تقول أيضا :

إن صخرا كان حصنا و رُبّى للنطفة*(1).

و حصنا كناية على القوة و المناعة .

و كما تقول أيضا :

و غياثا و ربيعا للعجوز الخرفة

"غياثا" و "ربيعا" كناية عن رأفته بكبار السن و لطفه بهم(2).

من خلال دراستنا لظاهرة الألم في شعر الخنساء، توصلنا إلى أنه يأخذ دورا كبيرا في تشكيل الصورة الشعرية بصورة بارزة في شعرها دون غيرها من الشعراء.

1- الديوان ص 101
*النّطفة : صافي الماء
2- الديوان ص 101

خاتمة :

إذا كان الألم شعور يختلج صدر الإنسان، لا يستطيع الإنسان العادي التعبير عنه، فإن المبدع يمتلك القدرة على تجسيد هذا الألم في أعماله الأدبية شعرا أو نثرا، فإننا ومن خلال تناولنا لظاهرة الألم في شعر الخنساء، خلصنا إلى العديد من النتائج والتي يمكن تلخيصها فيما يلي:

أن الرثاء في العصر الجاهلي كان نتيجة للحروب التي نشأت بين القبائل بسبب التزاحم على العيش هذا من جهة، ومن جهة أخرى للدفاع عن أنفسهم ، فخلفت هذه الحروب الكثير من القتلى عز ذلك على أهلهم وذويهم، فراحوا يندبونهم ويرثونهم في قصائد مختلفة، كما فعلت الخنساء في أخويها صخر ومعاوية، ولعل أجمل قصائد الخنساء كانت في هذا العصر، بمجيء الإسلام وجه الفكر العربي بعيدا عن تلط الضلالات الجاهلية، التي كان قابعا فيها إلى أفكار جديدة، كفكرة البعث بعد الموت، وجعلت غايته موجهة إلى الإيمان بالله وقضائه وقدره، وقد وقف الإسلام موقف المعارض من الغلو في البكاء على الميت ورثائه، فهدب الرثاء وتخلى الراثي عن اللطم والندب، إلا أن الخنساء لم يمنعها ذلك من الكف عن حزنها على أخويها.

ولما كان للألم دور كبير في تشكيل الصورة الشعرية ارتبطت الحالة النفسية للشاعر بما يتخيره من أوزان لشعره، فشعر الرثاء توحده عاطفة الحزن، لكن هذه العاطفة ليست على درجة واحدة عند شعراء الرثاء ذلك لأن تجاوبهم مع حالة الموت يختلف باختلاف الفقيد ومنزلته، حيث عكست القافية والراوي تباين هذه العاطفة من قصيدة إلى أخرى، وتجلى ذلك من خلال عدة قصائد للخنساء، كما كان للتكرار والتضاد والتراكيب النحوية دورا أساسيا في البناء اللغوي للرثاء، بالإضافة إلى الدور الذي أخذته الصور البيانية من استعارة وكناية وتشبيه في تشكيل الصورة الشعرية لديها.

قائمة المصادر و المراجع

- القرآن الكريم

أولا : المصادر

1- ديوان الخنساء ، دار صادر د ط ، دت

2- ديوان عنترة العبسي ، دار صادر د ط ،دت

3- الكامل في اللغة و الأدب لأبي العباس محمد ابن يزيد المعروف بالمبرد ج 1

4- الرثاء في الشعر الجاهلي و صدر الإسلام ل: بشرى محمد علي الخطيب، كلية الآداب جامعة بغداد ،د ط ،1977

5- إبن منظور: لسان العرب ،الدار البيضاء ودار صبح ،ت ح خالد رشيد القاضي ،ط 2006

ثانيا : المراجع

1- أخدري بكّاي: دراسة سيميائية في قصيدة " قضي يعينيك " للخنساء ،د ط، د ت

2- بن عيسى باطاهر:البلاغة العربية ،دار الكتب الجديدة المتحدة ،ط1 ،د ت

3- حنا الفاخوري :الموجز في الأدب العربي وتاريخه ، ،دار الجيل ، بيروت ط ج م ومزيدة

4- سراج الدين محمد :الرثاء في الشعر العربي ،دار الراتب الجامعية ، بيروت / لبنان ، د ط د ت

5- علي نجيب عطوي: الخنساء بنت عمرو شاعرة الرثاء في العصر الجاهلي ، دار الكتب العلمية ،بيروت / لبنان، ط 1 ،د ت

6-غازي طليمات وعرفان الأشقر: الأدب الجاهلي قضاياه ، أغراضه، أعلامه وفنونه ، ،دار الفكر المعاصر ، بيروت – لبنان /دار الفكر دمشق – سوريا ، الطبعة الأولى ، يناير 2002

ثالثا: الرسائل

1- صلوح بنت مصلح بنت سعيد السيرمي: الصورة الرثاء في شعر الجاهلي